

وقائع تعديل دستور جمهورية متغوريا

واعمال اخرى

نصار عبدالله

وقائع تعديل

دستور جمهورية متغوريا

وأعمال أخرى

(مجموعة أعمال غير ساخرة)



وقائع تعديل
دستور جمهورية متغوريا
وأعمال أخرى

(كتابات غير ساخرة)

وقائع تعديل دستور جمهورية متغـوريا

متغوريا التي سوف نتحدث عنها بعد قليل، بعيدة كل البعد عن منغوليا، وبعيدة كذلك عن منشوريا، كما أنها ليست قريبة على الإطلاق من سوريا رغم أن بعض القراء سـوف يتبادر إلى أذهانهم لأسباب معينة يضمرونها في أنفسهم أننا نقصد سوريا وحدها وليس سواها، والأرجح أنهـم سـوف يصممون على ذلك تصميما قاطعا مهما حاولنـا أن ننفـى، ورغم اعترافنا بوجاهة الأسباب التي يضمرونها والتي سوف يبنون عليها بغير شك تصميمهم، رغم اعترافنا بوجاهة تلـك الأسباب فإننا لا نملك سوى أن نؤكد مرة أخرى أننا لا نقصد سوريا، ولكننا نقصد متغوريا، تلك الجمهورية التي ينفـرد دستورها بنص لا مثيل له في سائر دساتير العالم، وهـو أن المرشح لرئاستها ينبغى ألا تقل سنه عن ثلاثة وثلاثين عاما وسبعة أشهر وتسعة عشر يوما، أمـا كيـف جـاء الـنص الدستورى على هذا النحو الفريد الذي لا مثيل له في الـدنيا منذ أن ظهرت الدنيا!.. كيف جاء هذا النص الذي حدد عمر المرشح بالأشهر والأيام بالإضافة إلى ثلاثة وثلاثين عاما لم يرتفع بها النص إلى خمسة وثلاثين أوينزل بها إلى ثلاثـين

مثل تلك الدساتير الأخرى التي يصفها الفقهاء الدسـتوريون في متغوريا بأنها دساتير غير دقيقة وغير منضبطة! كيـف جاء هذا النص الدستورى، وأى ذهن هو الذي تفتق عنه؟ .. هذا هو في الحقيقة ما سوف نعرض له في السطور الآتية .

* * *

كانت قد انقضت ثلاثة وسبعون عاما علـى حكـم الرئيس السابق لجمهورية متغوريا عنـدما تعـرض فجـأة لمحاولة آثمة لاغتياله (لا حظ حتى لا يلتبس الأمر عليك أن الثلاثة والسبعين عاما كانت هي عمـر الرئاسـة، لا عمـر الرئيس عندما حدثت محاولة الإغتيال الآثمة) ..أجـل فقـد كانت ثلاثة وسبعون عاما كانت قد انقضت منـذ أن تمكـن السيد الرئيس في مقتبل شبابه قرب نهاية الثلث الأول مـن القرن الماضي من الإطاحة بالإمبراطور السابق بالتعاون مع مجموعة من رفاقه وأصدقائه المخلصين (رفاق الـرئيس لا الإمبراطور) من ضباط القوات المسلحة (الذين سرعان مـا تخلص منهم فيما بعد واحدا بعد الآخر)،.. ثلاثة وسـبعون عاما مضت منـذ إعـلان انتهـاء الحكـم الإمبراطـورى الإستبدادى إلى الأبد وعودة السيادة إلى الشعب الذي أصـبح

يختار رئيسه وممثليه في البرلمان بملء حريته وإرادته في ظل حكم جمهورى ديموقراطى قائم على تعدد الأحزاب ،.. ولأول مرة في تاريخ متغوريا أصبح الشعب هو الذي يسـن قوانينه بنفسه، وهو الذي يملك مقدراته ويدير شئونه طبقا لما يرى فيه صالحه، ...أما السيد الرئيس القائد فقد كـان دوره يقتصر على تقديم الإقتراحات إلى البرلمان (الذى كان مؤلفا من حزبين كبيرين يشغل كل منهما ما يقرب من ٤٥% مـن مقاعد المجلس و يتناوبان في الحصول على الأغلبية تبعـا لنتيجة كل انتخاب،.. بالإضافة إلى حزب ثالث صـغير لـم تتجاوز مقاعده في أي انتخاب أكثر من ١٠% من مجمـوع المقاعد)،.. كان السيد الرئيس يتقدم باقتراحاته إلى المجلـس حيث كانت دائما تتباين بشأنها وجهات النظر، فقد كان أحـد الحزبين الكبيرين يقوم بتأييدها بكل قوة، بينما كان الحـزب الآخر يعترض على أن يكون التأييد بكل قوة، ويعلن تأييدها بكل شدة وعنف !!، وبالتالى فقد كانت الإقتراحـات نتيجـة للحوار الديموقراطى بين التأييد القـوى والتأييـد الشـديد، كانـــت تتحول دائما إلى قوانين وقرارات حتى قبـل أن

تتاح الفرصة للحزب الثالث الصغير للإعلان عن رأيه المؤيد لها إلى نهاية المدى!

* * *

كانت قد انقضت ثلاثة وسبعون عاما علـى هـذه الممارسة الديموقراطية الزاهية التي أثارت إعجـاب العـالم بأكمله، والتي نالت تأييد الشعب بأسره فيما عدا قلة قليلة من بعض المثقفين الحاقدين الذين كانوا في بعـض الأحيـان لا يكفون عن الغمز واللمز حول انكباب الرئيس على جمع كل أسباب القوة والثروة في يديه، و في أحيان أخرى كـانوا لا يكفون صراحة أو تلميحا عن الدعوة إلى ضـرورة تـداول السلطة كهدف ديموقراطى في حـد ذاتـه، وكـان هـؤلاء المثقفون الحاقدون يسخرون من تشبيه الـرئيس المتغـورى لنفسه بالزعماء التاريخيين الوطنيين من أمثال لومومبا وعبد الناصر وتيتو وماوتسى تونج وغيرهم ممـن لـم تعـرف بلادهم تداولا ديموقراطيا للسلطة في عصرهم ولم يقلل هـذا من مكانتهم التاريخية!!، كان المثقفون يسخرون مـن هـذا التشبيه لأكثر من سبب: أولا لأن هؤلاء الزعماء ـ أيا مـا كانت أخطاؤهم ـ لم يؤثر عنهم إلا حياة الزهد والتقشـف لا

حياة البذخ والنعيم وبالتالى فقد كانت السلطة في أيديهم وسيلة لتحقيق غايات ومصالح شعبية، أما السلطة في يـد حـاكم متغوريا وأمثاله فقد أصبحت غاية في حد ذاتها، وحتى عندما تصبح السلطة لديهم وسيلة، فهى وسيلة لتحقيـق الثـروات والملذات لهم ولأقاربهم وذويهم بالإضافة إلى تأمين مصـالح الطبقات والشرائح التي يستندون إليها في حكمهم ،.. وثانيا لأن استئثار الزعماء التاريخيين أمثال عبدالناصـر وتيتـو بالسلطة وعدم السماح بتداولها بشكل ديموقراطى كـان فـي الحقيقة مما يحسب عليهم وليس مما يحسب لهم، وبالتالى فقد كان من المضحك والمحزن معا أن يتشبه غيرهم بهـم فـي خطاياهم لا في مزاياهم!!

ومع هذا فقد كان التعامل مع هؤلاء المثقفين لا يمثل في النهاية مشكلة ذات شأن بالنسبة للسيد الرئيس القائد، ففى أغلب الأحيان كان يكفى أن يلقى إليهم ببعض الفتات، وحينئذ يتقافزون كما تتقافز أنواع معينة من الأسماك خارجة مـن الماء حين يلقى إليها صياد محنك بعض غبار الخبز والدقيق، تتقافز غير عابئة بأن تقافزها سوف يفضى بها إلى الوقـوع في قبضته أو الهلاك اختناقا حين تتبعد عن بيئتها الطبيعيـة

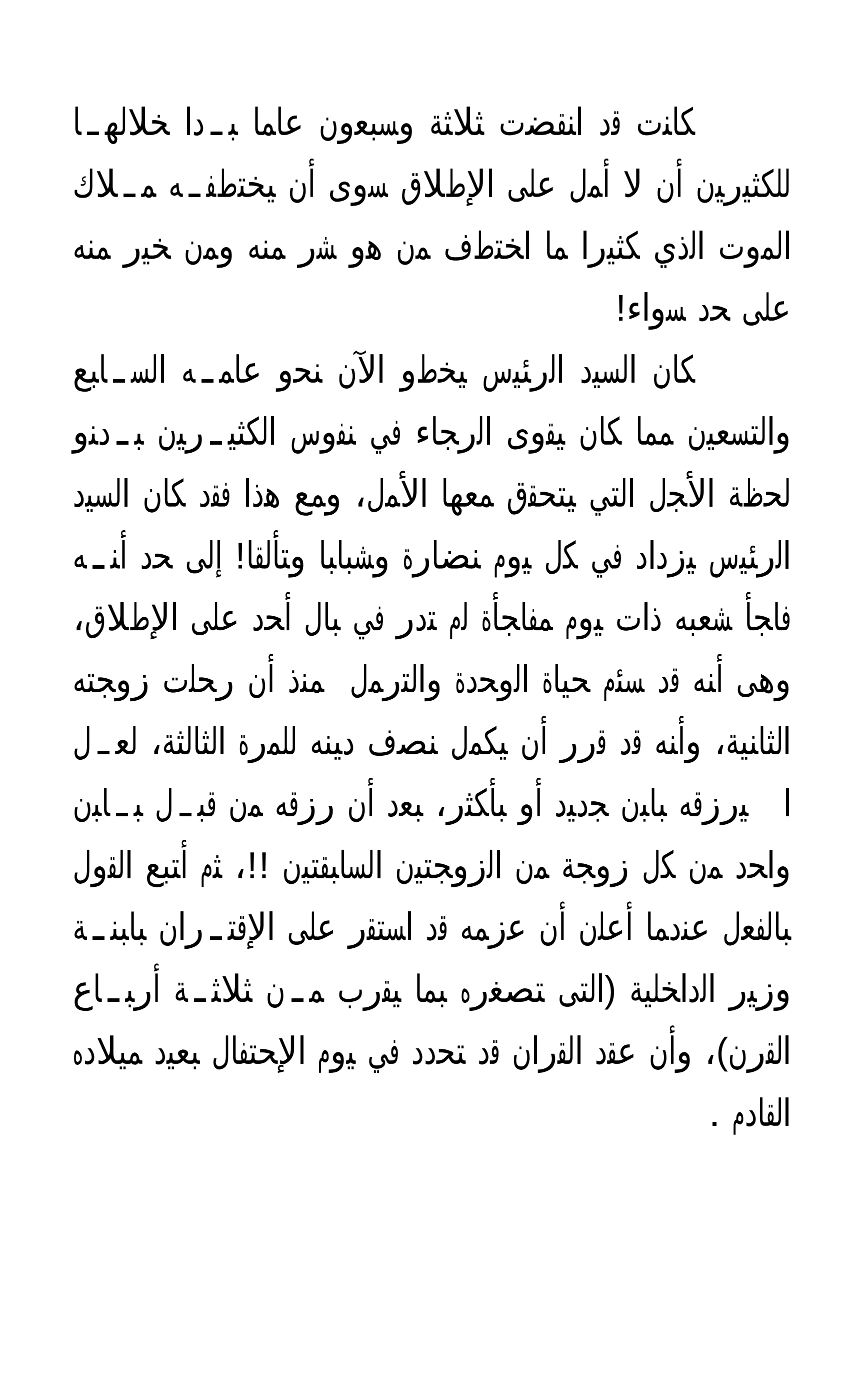
وتتجاوز مرحلة الأمان! أما أولئك الذين كانوا لا يسـتجيبون لما يلقى إليهم فقد كان يكفى حصـارهم معنويـا أو تشـويه صورتهم لدى عامة الناس من خلال وصفهم بأنهم شيوعيون ملحدون، وفى الحالات القصوى كان الإعتقال كفيلا بحـل كل المشكلات، خاصة أن المثقفين لم يكن لآرائهـم صـدى كبير بين الجماهير التي حرص السيد الرئيس حرصا شـديدا وبكل الوسائل على أن تبقى في حالة من الأمية الدائمة سواء بالمعنى الحقيقى أو المجازى.

وعلى أية حال فالحق يقال بأن معاملة السيد الرئيس القائد للمثقفين - حتى في أشد حالاتها قسوة - كانت أهـون بكثير جدا من معاملة سيادته لأولئك المنخرطين في تنظيمات تستهدف الإستيلاء على السلطة (تلك التنظيمات التي تشـبه ولو في بعض جوانبها تنظيمه القديم، الذي قام هو بتأسيسـه بالتعاون مع رفاقه السابقين وتمكن بفضـله مـن الإطاحـة بالإمبراطور السابق) ،...هؤلاء الأخيـرين كـان سـيادته يتعامل معهم بغمرهم في أحواض مملـ ـ ـ ـوءة بحـامض النيتريك أو حامض الكبريتيك المركز، حينئذ يـذوبون إلـى الأبد، ولا يتبقى منهم شـئ على الإطلاق!)

* * *

كانت قد انقضت ثلاثة وسبعون عاما حين كان السيد الرئيس القائد قد أتم عشر دورات رئاسية ونيف، (بعد أن تم تعديل الدستور قرب نهاية الدورة الرئاسية الثالثة ليسمح لـه بالترشيح لعدد غير محدود من الفترات الرئاسية)، .. كانـت قد انقضت ثلاثة وسبعون عاما بدا خلالها للكثيرين أنه لا أمل على الإطلاق في أي تداول للسلطة سواء بالطرق السـلمية أو بغيرها بعد أن فشلت كافة المحاولات الإنقلابية، وبعد أن أصبحت قبضة الرئيس - رغم كبر سنه - تزداد إحكاما يوما بعد يوم ،... ومع هذا فإنه ينبغى إحقاقا للحق أن يقـال إن قبضته القوية لم تكن هي السبب الوحيد لبقائه في السلطة كل هذه المدة، ولكن السبب الأهم هو نجاحه في تحقيق قدر معقول نسبيا من التنمية الإقتصادية بعد أن أقنعه مستشـاروه الإقتصاديون بأنه لكي يكون الحاكم ثريا جدا ولكـى يـزداد ثراؤه باطراد فلا بد أن يكون شعبه أيضا على قدر معين من الثروة لأن الشعب المعدم ليس لديه ما يمكن أن يؤخذ منه!!

***



كانت قد انقضت ثلاثة وسبعون عاما بـدا خلالهـا للكثيرين أن لا أمل على الإطلاق سوى أن يختطفـه مـلاك الموت الذي كثيرا ما اختطف من هو شر منه ومن خير منه على حد سواء!

كان السيد الرئيس يخطو الآن نحو عامـه السـابع والتسعين مما كان يقوى الرجاء في نفوس الكثيـرين بـدنو لحظة الأجل التي يتحقق معها الأمل، ومع هذا فقد كان السيد الرئيس يزداد في كل يوم نضارة وشبابا وتألقا! إلى حد أنـه فاجأ شعبه ذات يوم مفاجأة لم تدر في بال أحد على الإطلاق، وهى أنه قد سئم حياة الوحدة والترمل منذ أن رحلت زوجته الثانية، وأنه قد قرر أن يكمل نصف دينه للمرة الثالثة، لعـل ا يرزقه بابن جديد أو بأكثر، بعد أن رزقه من قبـل بـابن واحد من كل زوجة من الزوجتين السابقتين !!، ثم أتبع القول بالفعل عندما أعلن أن عزمه قد استقر على الإقتـران بابنـة وزير الداخلية (التى تصغره بما يقرب مـن ثلاثـة أربـاع القرن)، وأن عقد القران قد تحدد في يوم الإحتفال بعيد ميلاده القادم .

***

يوم الإحتفال كان السيد الرئيس القائـد يسـتعرض الحرس الخاص عندما استدار إليه واحد من الحراس وأطلق النار،وتمكن من إصابته في كتفه، وما أشد ما كانت دهشـة الجميع عندما فوجئوا بأن الرئيس استل طبنجته في سـرعة البرق رغم إصابته، وأصاب الحارس بدوره في ومضة عين وكأنه كان يتوقع الغدر من قبل !

* **

أسفرت التحقيقات عن مؤامرة واسعة النطـاق كـان الضـالع الـرئيس فيهـا هـو صـهره المرتقـب "وزيـر الداخلية"،وابنة الوزير "الزوجة المرتقبة" التي كانت تربطهـا علاقة غرامية بحارسه الخاص (الذى أطلق عليـه النـار)، فضلا عن بعض رجال الأعمال الذين فضلوا الإصطياد فـي الماء العكر وكانوا هم الذين رسموا أصلا خطـة المـؤامرة وقاموا بتمويلها بعد أن اتفق الجميع على توزيع الغنائم علـى الوجه الآتى : الوزير تعطى له رئاسة الدولة، بنت الـوزير يعطى لها الحارس ، الحارس تعطى لـه وزارة الداخليـة، رجال الأعمال تعطـى لهـم جميـع التـوكيلات التجاريـة

والصناعية التي يستأثر بها حاليا إبنا السيد الرئيس القائد بعد محاكمتهما وإدانتهما بتهمة الفساد وحرمانهمـا مـن أهليـة التصرف!

* * *

بعد أن تم تحديد موعد لمحاكمـة الـذين أسـفرت التحقيقات عن توجيه الإتهام إليهم رسميا صدر بيـان مـن وزارة الداخلية (التي تولاها مؤقتا النجل الأكبر للـرئيس)، يعلن أن المتهمين قد تمكنوا من الفرار وأن البحـث يجـرى عنهم على قدم وساق. حينئذ أيقن الكثيرون وإن لم يمتلكـوا الدليل أن المتهمين لن يظهروا مرة أخرى في أي مكان وأن السيد القائد قد طبق عليهم شعار " الكبريتيك هو الحل"

* * *

فى أعقاب هذه الأحداث أوعز السيد الرئيس القائـد إلى بعض المقربين إليه أن ابنه الأكبـر يعتـزم الإنخـراط الأوسع في النشاط السياسى بالإضافة إلى انخراطه الواسـع في النشاط الإقتصادى وأنه يعتزم الإنضمام إلى أحد الحزبين الكبيرين :"المؤيدين بقوة " و "المؤيدين بشدة"، حينئذ سـعى إليه رئيسا الحزبين وعرض عليه كـل منهمـا أن يتنـازل

لسيادته عن رئاسة الحزب، ولما كان الإبن قنوعـا ورقيـق القلب، فقد خشى أن يغضب واحدا على الأقل من الرئيسين، ومن ثم فقد قنع بمنصب الأمين العام لأحد الحزبين والأمـين العام المساعد للحزب الآخر، وقد كانت هذه هي المرة الأولى في التاريخ التي يشغل فيها شخص واحد منصب أمين حزب ما، والأمين العام المساعد لحزب آخر يفتـرض فيـه أنـه معارض له.

* * *

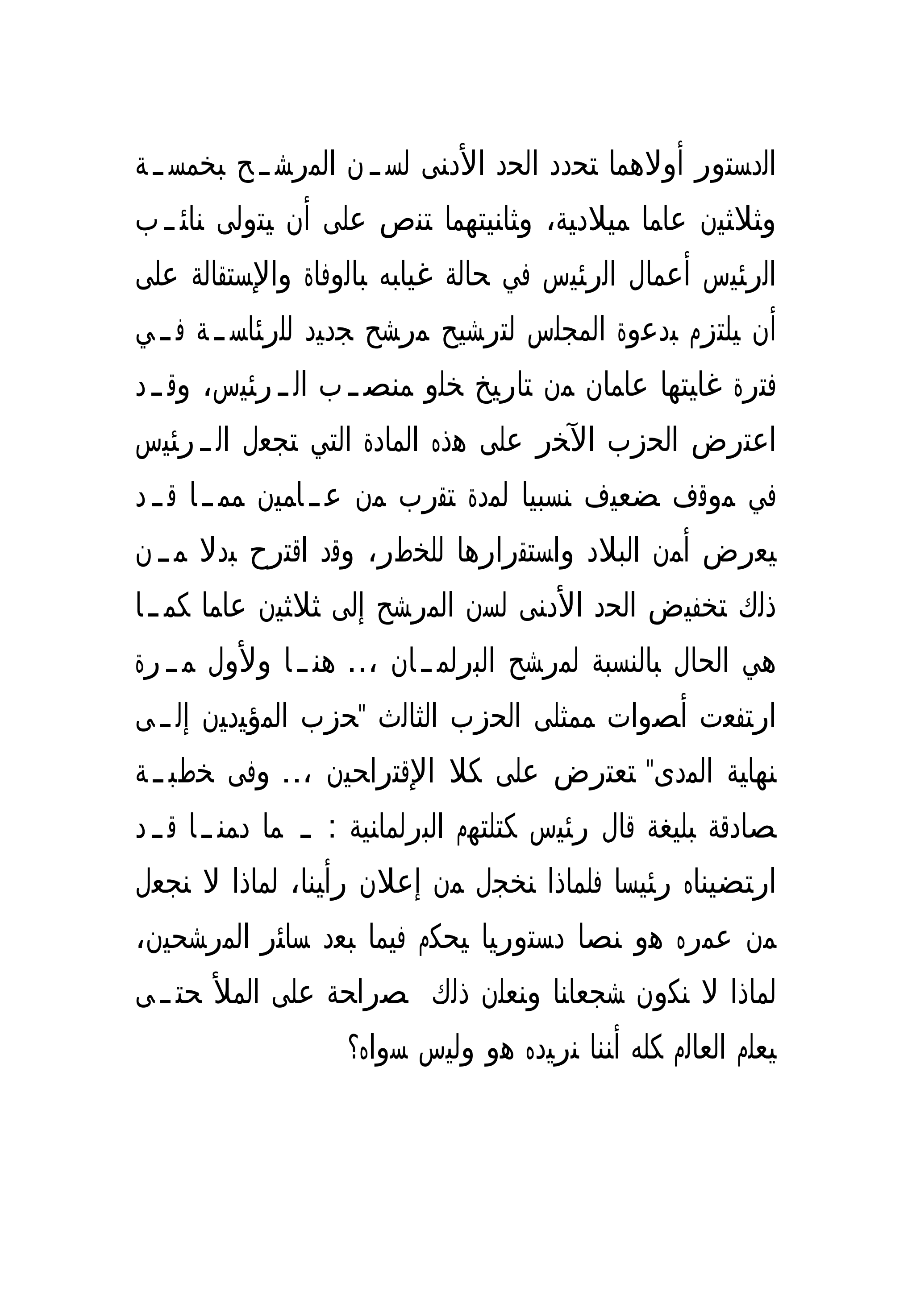
فى تطور لم يعد مفاجئا بعد كل ما حدث أعلن السيد الرئيس القائد(الذي كان ما يزال يعـالج مـن مضـاعفات جراحه) أنه لن يرشح نفسه لدورة رئاسية قادمة وأنه سيكتفى بالتوجه إلى صناديق الإستفتاء كأى مواطن عادى لكي يدلى برأيه في المرشح القادم الذي يتوقع أن يكـون هـو نجلـه الأكبر!

* * *

خرجت المظاهرات الحاشدة التي تؤيـد الحكيمـين الملهمين: الملهم الحالى، والملهم المتوقع، لكنها سرعان مـا تحولت إلى مأتم، أو بالأحرى إلى مأتمين متعاقبين لم يفصل

بينهما وقت طويل، فقد كان يحلو للرئيس المرتقب رغم كـل تحذيرات الخبراء أن يقود سيارته بنفسه بسـرعة جنونيـة، وكثيرا ما كان يسبق موكب حراسته الذي لم يكن ليجاريه في سرعته، وهكذا حدثت الكارثة عندما انحرف بسيارته لسـبب غير معلوم فاصطدم بحاجز على كوبرى المسـتقبل وهـوى بسيارته في النهر العظيم، وقبل أن يتم انتشال الجثمان صدر بيان من الرئاسة مؤداه أن هذا وقت للعمل لا الحزن، ومـن ثم فقد صدر قرار بتولى الإبن الأصغر منصب نائب رئـيس الجمهورية بالإضافة إلى وزارة الداخليـة وقيـادة القـوات المسلحة، وفى الوقت نفسه حل محل أخيه الذي لم يكن قـد ووري التراب بعد في نفس موقعيه بأمانتى الحزبين الكبيرين !! وانقسمت مشاعر الجماهير الوفية بين واجبـات التهنئـة والعزاء، والتأييد والمواساة، ومما زادها انقساما تلك الكارثة الجديدة التي حلت عندما كان السيد الرئيس القائد واقفا يتلقى العزاء، عندما ترنحت قدماه فجأة وعجزتا لأول مـرة فـي حياته (وآخر مرة أيضا) عن حمله فسـقط علـى الأرض لافظا أنفاسه الأخيرة .

تحت (حراسة) المـدرعات والمصـفحات، عقـد برلمان متغوريا جلسة عاجلة للنظر فـي ترشـيح النجـل الأصغر للسيد القائد الرئيس لرئاسة الدولة خلفا لأبيه الراحل العظيم، حين واجه المجلس مشكلة لم يكن قد حسب حسابها، تلك هي أن الدستور في تعديله الأخير الذي سمح بالترشـيح لفترات رئاسية غير محدودة، كان قد أضاف في الوقت ذاته شرطا جديدا لم يكن موجودا من قبـل وهـو أن المرشـح للرياسة ينبغى ألا تقل سنه عن أربعين عامـا، والحقيقـة أن واضعى الدستور قبل تعديله كانوا قد أغفلوا هذا الشرط عمدا لأن السيد الرئيس الراحل لم يبلغ سـن الأربعـين إلا أثنـاء الدورة الرئاسية الثالثة التي أجرى فيها التعديل، أما المشـكلة التي واجهها المجلس فهى أن الإبن الأصغر (الـذى أنجبـه الرئيس من زوجته الثانية تلك التي اقترن بها بعد أن تجاوز الستين من عمره) كان عمره وقت انعقـاد الجلسـة ثلاثـة وثلاثين عاما وسبعة أشهر وتسعة عشر يومـا، أي أنـه لا يحق ترشيحه للرياسة إلا بعد انقضاء ست سـنوات وبضـع شهور، وفى مواجهة هذه المعضلة توجه عضو من المنتمين إلى حزب المؤيدين بقوة، توجه باقتراح إضافة مادتين إلـى



الدستور أولاهما تحدد الحد الأدنى لسـن المرشـح بخمسـة وثلاثين عاما ميلادية، وثانيتهما تنص على أن يتولى نائـب الرئيس أعمال الرئيس في حالة غيابه بالوفاة والإستقالة على أن يلتزم بدعوة المجلس لترشيح مرشح جديد للرئاسـة فـي فترة غايتها عامان من تاريخ خلو منصـب الـرئيس، وقـد اعترض الحزب الآخر على هذه المادة التي تجعل الـرئيس في موقف ضعيف نسبيا لمدة تقرب من عـامين ممـا قـد يعرض أمن البلاد واستقرارها للخطر، وقد اقترح بدلا مـن ذلك تخفيض الحد الأدنى لسن المرشح إلى ثلاثين عاما كمـا هي الحال بالنسبة لمرشح البرلمـان ،.. هنـا ولأول مـرة ارتفعت أصوات ممثلى الحزب الثالث "حزب المؤيدين إلـى نهاية المدى" تعترض على كلا الإقتراحين ،.. وفى خطبـة صادقة بليغة قال رئيس كتلتهم البرلمانية : ـ ما دمنـا قـد ارتضيناه رئيسا فلماذا نخجل من إعلان رأينا، لماذا لا نجعل من عمره هو نصا دستوريا يحكم فيما بعد سائر المرشحين، لماذا لا نكون شجعانا ونعلن ذلك صراحة على الملأ حتـى يعلم العالم كله أننا نريده هو وليس سواه؟

ودوت الأكف بالتصفيق وخرج أعضاء المجلس من المجلس متوجهين إلى مقر إقامة السيد نائب الرئيس لإبلاغه بما انتهت إليه جلسة المجلس (تلك التي كان سيادته يتابعهـا بالفعل عبر دائرة تليفزيونية)

وخرج المرشح محمولا على أعناق أعضاء المجلس إلى حديقة قصره أمام كاميرات وسائل الإعلام، بينما كانـت الجماهير خارج سور القصـر الـذي تطوقـه المـدرعات والمصفحات، كانت الجماهير تهتف في حماس شديد باسـمه وباسم الوطن : متغوريا، متغوريا، مـا .. تغـ ـ ـور.. يـ ـا

كتبت ونشرت عـام ٢٠٠٢فـى جريـدة العربـى الناصرية ثم في مجلة أفق الإليكترونيةwww.ofouq.com (العدد ٢٣يوليو ٢٠٠٢)

المـ ـيراث

كان قد مضى على وفاته عدة أسابيع عندما رأيت في منامي أني أقف أمام جثمان أبي... كان الجثمان مسجى على سرير متعدد الطوابق، من ذلك النوع الذي يستخدمه البحار ة والجنود.. في الطابق الذي يقع في مواجهتي مباشرة كشـفت

الغطاء عن وجهه فأدهشني أن عينيه كانتا مفتـوحتين رغـم موته، وأنه يطل إلي بنظرته الحزينة، بل خيل إلي أن عينيه فيهما بقايا دموع!!. وحين رددت عليه الغطاء حانـت منـي التفاته إلى الطابق الأسفل من السرير... كان ثمة جثمان آخر مسجى... حين كشفت عنه الغطاء فوجئت بأنه أيضا جثمان أبي وأنه يطل علي بنظراته الحزينة الضارعة... رحت أنقل نظراتي بين طوابق السرير... في كل منها ذات الجثمـان، وذات النظرات والدموع.

***

استيقظت مذعوراً والعرق البـارد يتصـبب علـى جبيني.

يوم الجنازة، وقف أبنـاء عمـومتي إلـى جـانبي يستقبلون العزاء... ينظر المعزون إليهم فيبادلونهم النظرات، ثم ينظر الجميع إلي فيتجمد الدم في عروقي لحظة، ثم يغلي. في نظراتهم معنى لا يخطئه أحد. لـيس فـي بـالهم غيـر الميراث الكبير من الأرض الشاسعة، أو بـالأحرى، التـي يتصورون أنها مازالت شاسعة، والتي سوف اسـتأثر بهـا وحدي.

***

حين وقف الشيخ فـزاع لكـي يـودعني، قبـل أن ينصرف شد على يدي بعنف؛ حتى كاد يسحقها، وقـال لـي بابتسامة باهتة صفراء.

- لا تحزن فا   أخذ، وا   أعطى.

هممت لحظتها بأن أبصق عليه. لكنني لسـبب مـا، أحجمت.

* * *

بعد أسبوع واحد من الجنازة، جاءني الشيخ فـزاع، لكي يقول لي: أرض أبيك التي باعها لي، والتي دفعت ثمنها من حر مالي، أخذها الإصلاح. وأنا أريد بدلا عنها. قلت له: هذا استيلاء ابتدائي... مجرد إجراء روتيني يقومون به، إلى أن أقدم إليهم المستندات، فيفرجون عنها، أنت تعلم أن أبي لم يخالف قوانين الإصلاح، ومعي المستندات التي تثبت ذلك.

قال:هذا شأنك أنت والإصلاح، أما أنا فسوف أخـذ قطعة الأرض التي بجوار منزلكم، بدلا من التي اشتريتها.

يا شيخ فزاع هذه الأرض للبناء لا الزراعة، وأنت اشتريت أرضاً زراعية، وما زلت تزرعها ولم ينزعها أحد منك.

قال: والإصلاح؟

قلت: أقصى ما سيفعله الإصلاح، هو أن يطالبك بالإيجار، وسوف أدفعه أنا نيابة عنك، إلى أن يتم الإفراج عنها بإذن ا .

قال: وإذا لم يتم الإفراج.

قلت: سأستمر أنا في دفع الإيجار وتستمر أنت في زراعة الأرض، ولا شأن لك بالإصلاح.

قال: اكتب لي ورقة بذلك.

فكتبت.

* * *

في المساء جاءني أبناء عمومتي يحملون بنادقهم الآلية... قالوا: بلغنا أن الكلب فزاع يريد أن يستولي على أرض داير الناحية، وأنه جاء يهددك هذا الصباح، وتطاول في الكلام عليك، وعلى أية حال أنت المحقوق... نعم الحق عليك وحدك... لماذا لم تبعث إلينا حتى نريه العين الحمراء،

وحتى يتذكر، إن كان قد نسي أن الأشـراف ليسـوا مثـل الجراجسة أو الفخرانية الذين استولى على أرضهم، ودفـنهم فيها. لماذا لم تبعث إلينا حتى نقول له، فـي وجهـه. إننـا قادرون على إبادة عائلة الكوامل بأكملها، وحتى تذكره بالمثل الشائع في بلادنا: "يا حال يا مايل. عمل الزمن عمايل. حتـى النواقص سموا نفسهم قبائل"! !

قلت: لا تتعجلوا الأمور، فالمسألة لا تستحق. والشيخ فزاع كان معه حق في هذه المسألة بالذات! !

ضربوا أكفهم بالأكف وقالوا: معـه حـق! ! وهـل يعرف الحق هذا الكلب الضلالي؟ !

قلت: الإصلاح استولى على الأفدنة الثلاثـة التـي باعها له أبي. جاء يسوي المسألة معي، وقد سويناها والحمد .

- هل قلت له إنك سوف تعطيه بدلا منها؟ !

قلت: أفهمته لأن هذا اسـتيلاء ابتـدائي، وسـوف يفرجون عن الأرض بمجرد أن أقدم لهم المستندات، وإلى أن يحدث هذا، فسوف أسدد الإيجار نيابة عنه إلى الإصلاح.

تعجبوا من كلامي، وعادوا يضربون الأكف بالأكف:

- ولماذا تدفع أنت الإيجـار؟ ملعـون أبـوه وأبـو الإصلاح. إذ لم يكن يعجبه فليس له إلا ثمن الأرض. تعطيه له على المركوب القديم، وتسترد أرض أبيك، وبعد ذلك أنت والإصلاح تصطفيان.

- قلت: ليس معي ثمن الأرض !

- سبحان ا . كل هذه التركة التي تركها لك أبوك، وتقول: ليس معي ثمن الأرض. هل نسيت أن المرحوم باعها بملاليم، أم أنك مثل أبيك، تقول هذا الكلام ؛ لكي لا نطمـع فيك. إن كنت يا ابن العم تظن أننا جئنا نلقى عليك جثثنـا، فخيبة ا عليك وعلى من رباك. لقد جئنا لك فقط لكي نقـف معك بسلاحنا، وأرواحنا.

قلت: ا وحده عليم بالحال، وأنا أدخركم للحاجـة، ولا أستغني عنكم أبداً. ولكن سويت المسألة بما يرضي ا ، وقد اقتنع الرجل، فما الداعي لإثارة المشاكل.

قالوا: وا لم يقتنع إلا لأنه يعلم أن وراءك رجـالاً، مستعدين للموت في سبيل كرامة العائلة،.. إيـاك أن تنسـى هذا.

وانصرفوا وعلامات الغيظ على وجـوههم. لا أدري أمنـّى، أم من الشيخ فزاع، أم من الاثنين معا!

* * *

عندما صدرت قوانين الإصلاح الزراعي، لأول مرة في بلادنا، استولت الحكومة على ثلاثة أربـاع أرض أبـي، ومع هذا لم يتأثر وضعه في البلد، فقد كانـت الأرض التـي استولوا عليها تقع في زمامات بعيدة جداً عن زمام بلدنا. ظل أبي، رغم هذا، هو المالك الكبير في البلد. الأكثر من ذلـك أنه، على سبيل التعويض، توسـع فـي إنشـاء المناحـل، والمشاتل، وحدائق الفاكهة، ومزارع الألبان، بل واستفاد من قوانين الإصلاح ذاتها، عندما أنشأ – باعتباره مهندسا زراعيا – مشروعاً لاستصلاح الأراضي الصحراوية... اقترض من البنوك بضمان السندات التي أعطتها له الحكومة، واشـترى ماكينات المياه، ودق المواسير في الأرض، وأنشأ القنـوات والمصارف، وأخيراً انسابت الميـاه، فاخضـرت الرمـال، وأضيفت مئات الأفدنة إلى زمام بلدتنا المحدود.

* * *

بعدها بسنوات جاء أبناء عمومتنا يحملـون بنـادقهم الآلية.. قالوا لأبي: بلغنا أن الحكومة تعتزم إصدار قـوانين جديدة لتحديد الملكية الزراعية،.. يقولون إنهم لـن يسـمحوا للشخص الواحد بأكثر من خمسين فداناً، سواء مـن الأرض القديمة، أو المستصلحة.

قال أبي: يبلغكم هذا الكـلام، وأنـتم فـي بيـوتكم، وغيطانكم، ولا يبلغني وأنا عضو في البرلمان ؟!

قالوا: الناس كلها تتكلم، والجرائد كلها عادت تكتـب عن جيوب الإقطاع. يقولون إن المشير بنفسه سوف يـرأس لجنة لتصفية الإقطاع. وأبناء العائلات الأخرى في البلد بدءوا فعلا يبعثون الشكاوى والبرقيات، يطالبون اللجنـة بتوزيـع أرضك عليهم.

قال لهم: هذه اللجنة مشكلة لمحاسبة الـذين خـالفوا قوانين الإصلاح. أما أنا فأطبق القـوانين بحـذافيرها. أنـا الوحيد في عموم المحافظة، وربما في عموم الصعيد، الـذي أنشأ مشروعا لاستصلاح الأراضي الصحراوية، لكي يتملكها خمسة وعشرين عاما فقط، طبقاً للقانون، ثم يقوم ببيعهـا أو

تسليمها للحكومة. لهذا السبب، فأنا موضع ثقة التنظيم، بدليل أني ما زلت عضواً في البرلمان. أما عـن تغييـر القـانون الحالي، فأنا لي اتصالات كثيرة، ولم يبلغني أن الحكومة تفكر في تغيير القانون.

قالوا: يا سعادة البك. نحن نعلم أن لـك اتصـالات كثيرة. ونعلم أنك صديق أنور بك كبير البرلمـان شخصـيا، ولكن الحكومة لا أمان لها. افترض، مجرد افتراض، أن مثل هذا القانون صدر ماذا ستفعل؟

قال: عندما يصدر مثل هذا القانون، فسـوف يحلهـا ا ، كما حلها في المرة السابقة.

قالوا: لقد هدانا ا سبحانه وتعالى إلى الحل.

- وما هو؟ !

- تبيع لكل واحد منا قطعة صـغيرة مـن الأرض، ونسجل العقود، أو على الأقل نحصل علـى أحكـام صـحة ونفاذ، بهذا توسع علينا من ناحية، وتؤمن نفسك من ناحيـة أخرى.

قال أبي: هل تملكون الثمن؟

قالوا: اعتبر أرضك وديعة لدينا إلى أن تهدأ الهوجة. وخذ علينا كمبيالات. أو خذ ما تشاء من الضمانات.

صمت أبي طويلا، ثم قال: معذرة يا أبناء العم، فأنا لن أبيع الآن. وعندما تنتهي مهلة الخمسة والعشـرين عامـا التي حددها لي القانون، وربما قبلها بقليل، إن كان لنا عمر، فسوف تكونون أولى النـاس بـالأرض المستصـلحة. أمـا الأرض القديمة فهي لي، ولإبني، ولأحفادي، إن شاء ا إلى الأبد.

عندئذ وقف الليثي مظهر، وهو يلوح ببندقية، وصاح بصوته الذي يشبه الخوار: يا سعادة البك. في المرة السـابقة وزعوا أرضك البعيدة عنا في الوجه البحري. أما في هـذه المرة فسوف يوزعون أرض البلد التي هي لحمك ولحمنـا، ولن نرضى بأن يأكل لحمنا الجراجسة والفشاخره والفخرانية ونصبح معـرة العائلات.

..صاح الحاضرون:

- اسكت يا ولد يا ليثي.

وقال أبي: اتركوه يكمل كلامه... ما معنى كلامك يا ليثي؟

- معناه: إذا لم تبع لنا يا سعادة البك مـا يعجبـك، فسوف يبرك كل منا على قطعة الأرض التي تعجبه، ويفلحها بالقوة، ولا يتركها لك إلا أن يقتل دونها، أو يدخل الليمـان. وليكن في علمك يا سعادة البك أنها ليسـت أرضـك. إنهـا كرامتنا، وكرامة العائلة.

بوغت أبي، في حـين قـام بقيـة أبنـاء عمومتنـا يستنكرون هذا الكلام، وانهالوا عليه ضربا بالبلغ، و طردوه من المجلس.

قالوا لأبي: لا تؤاخذه يا سعادة البك، فهـو صـغير السن وطائش، وحقك علينـا... الأرض أرضـك، والأمـر أمرك، وأنت كبيرنا، والحكم فينا، بعـد ا ، لـك وحـدك، وعندما تحتاجنا أرسل إلينا، وسوف تجدنا أطوع لـك مـن خدمك. وانهالوا على رأسه ويديه تقبيلا، ثم انصرفوا.

* * *

في مساء ذلك اليوم ظل أبي ساهما....

قال لي وهو يزفر زفرة مريرة: أنا وحيد... أبي لم يرزقه ا من الذكور سواي، ولم يرزقني ا سواك، ليتنـي

كان لي اخوة أو أبناء كثيرون، إذا لما وضعنا الزمـان فـي قبضة أبناء العمومة الأباعد.

قلت: ولكنهم اعتذروا لك، وقبلوا رأسك ويديك. بـل وهموا بتقبيل قدميك، لولا أنك منعتهم من ذلك.

قال: هل انطلي عليك هذا التمثيل. ما فـي قلـوبهم جميعا هو ما جاء على لسان الليثي. إنهم مرعوبون، يخشون فعلا أن تقوم الحكومة بتوزيع الأرض على أبناء العـائلات الأخرى، ولا ينوبهم شيء، ولا أخفي عليك أن هذا قد يحدث فعلا، أو يحدث شيء قريب منه.

قلت: ولكنك في حدود ما أعلم لم تخالف القانون.

قال: ليست المسألة أن أخالف القانون أو التزم به... إننا مقبلون على فترة من تصفية الحسابات،... وعلى مستوى القمة السياسية،... على مستوى القمة تـدور صـراعات لا يشعر بها أحد،... كل طرف يحاول توطيد مكانته واكتسـاب جماهيرية على حساب الطرف الآخر، ..كل هذا تحت واجهة تأكيد الاشتراكية وتصفية الإقطاع... وفي أتون المعركة قـد تدوسنا بقصد أو بدون قصد، سنابك خيل الكبار.

وصمت فترة، وقال: أغلب ظني أن أبناء عمومتنا قد حسموا أمرهم فعلا، واتخذوا قرارهم ضدي، حتـى قبـل أن تتضح الأمور. وأغلب ظني أنهم اتفقـوا فعـلا علـى رأي الليثي، ولا أستبعد أنهم ضربوه بـالبلغ برضـاه وموافقتـه سلفا... كل ما في الأمر أنهم تركوا لي مهلة للتفكير.

قلت: وهل يجرءون. سـوف تشـكوهم، إن فعلـوا للنيابة.

قال أبي: وهذه في حد ذاتها فضيحة! فضـلاً عـن أنهم، إن كانوا متفقين، فسوف يشهدون لبعضـهم... ربمـا زعموا أنهم يستأجرون الأرض، وأننا رفضنا تحرير عقـود إيجار مكتوبة. وفي هذه الحالة سنقع نحن –لا هـم- تحـت طائلة القانون. وفي أية حال من الأحوال،... وأيا مـا كـان الذي سيقولونه، فإن النيابة سوف تأمر، كعادتها، ببقاء الحال على ما هي عليه، والمتضرر يذهب للمحكمة.

قلت: نذهب للمحكمة.

قال: أنت نسيت الظروف التي نحن مقبلون عليهـا، والتي قد نتعرض لها، وحتى إذا ظلـت الظـروف عاديـة بالنسبة لنا، فسوف تنقضي السنوات الطويلة. قبل أن تحكم لنا

المحكمة... وحتى تحكم، فربما لن نستطيع تنفيذ الحكم.
أنسيت أنهم هم – لا الحكومة- الذين نفذوا لنا بمجهوداتهم ما حصلنا عليه من قبل من الأحكام القضائية؟.. أنسيت أن جميع المزارعين من أبناء العائلات، يمتلكون البنادق الآلية، وأنهم بفضل قوتهم يستطيعون تنفيذ أو تعطيل ما يصدره القضاء من أحكام؟! ...الجميع هنا يمتلكون الأسلحة، إلا أنا، وأنت يا ولدى، فلا نملك إلا سلاح العلم، أو سلاح القانون. وكلاهما قد أثبت أنه سلاح لا يخيف أحد في بلدنا! ! ليتنا ما تعلمنا! !

***

طيلة الليل كنت أسمع أبي يتأوه،.. لم أنم ليلتها ولم ينم، وفي الصباح أرسل أبي إلى أبناء عمومتنا وكتب لهم العقود، وأخذ عليهم الكمبيالات، واشترط عليهم بينه وبينهم أن يكون المحصول بالمناصفة فوافقوا .

بعدها قال لي أبي، وكأنه يعتذر:

- لم يترك الزمان لي يا ولدي خياراً، ولا حكماً، إلا بأن أحكم بتقطيع لحمي عليهم، بالطريقة التي أرضاها.

وابتسم ابتسامة مريرة، ثم أجهش بالبكاء.

لم يقدر لأبي أن يبتسم ابتسامة صـافية، بعـد ذلـك قط... فبعد أيام، جاءت الشرطة العسـكرية ذات الأوشـحة والبيريهات الحمـراء ... جـردوا كـل شـيء.. حـرزوا المستندات والأشياء الثمينة وأخذها معهم، ثم ختمـوا بـاب منزلنا بالشمع الأحمر، وقالوا لنا: إننا مشمولون بالحراسـة العامة، وإن إقامتنا محددة منذ اليوم فـي العاصـمة، وإنـه محظور علينا أن نغادرها إلا لعذر جوهري، وبتصريح مـن مباحث أمن الدولة!!. وقالوا لنا أيضاً: إن اللجنة العليا سوف تصرف لنا نفقة شهرية، بعد إتمام بعض الإجراءات.

ليلتها لم نشاهد أحدا من أبناء عمومتنا، ولم يحـاول أحدهم أن يأتي لتوديعنا عندما حملنا البوكس وألقى بنا إلـى القطار المتجه للعاصمة!، ومع هذا، وللأمانة، فإن الكثيـرين منهم قد زارونا بعد ذلك خلسة في محل إقامتنا بالسيدة زينب، وحملوا لنا الهدايا الكثيرة، وقالوا لنا إن البلد كلها تبكي علينا، وتدعو لنا بسلامة العودة، ولكنهم قالوا لنا أيضاً: إن الليثـي مظهر قد جمع حوله مجموعة مـن العواطليـة مـن أبنـاء الجراجسة والفخرانية والدلاليك، وأخذوا يهتفـون: " يسـقط

الإقطاع، وتحيا الثورة"، وأرسلوا العديد من برقيات المبايعة والتأييد.

في زيارة تالية قالوا لنا: إنهم عينوا الليثـي أمينـاً للتنظيم، ثم همسوا لنا بأنه قد أخذ يستغل وضعه الجديد كأمين للتنظيم وبدأ يتاجر في الأسلحة والمخدرات.

* * *

عندما ذهب أبى إلى أنور بك لكي يقول له إنـه لـم يخالف قوانين الإصلاح؛ وإن جميع المستندات التي وجدوها عنده تؤكد ذلك بشكل قاطع. طمأنه أنور بك، وقال لـه: إن المسألة مسألة وقت، وإنهم سوف يرفعون عنـه الحراسـة، وسوف يعيدون إليه أرضه حتماً بمجـرد أن ينتهـي بحـث الحالة.

قال أبي: إنه يعتقد أن في الأمر وشـاية كاذبـة أو دسيسة... قال أنور بك إنه أيضاً يعتقد ذلك، وإنه يكاد يقطع بأن صبري بك شخصياً هو الـذي دس لـه لـدى مكتـب المشير،.. قال لأبي: وهل ينسى لك أنك حاصرته بالأسـئلة في المجلس عن المعتقلين السياسيين، وهل تنسى أنت أنه فقد أعصابه وقال لك: تسألني كما لو كنت وزيراً للداخلية، وأنك

قلت له: إن طهارة العمل السياسي ونظافته أمانة في عنقـك قبل أن تكون أمانة في يد وزير الداخليـة، وحـين صـفق الأعضاء فأغلب الظن أنه تصور أنهـم يصـفقون لكلمـة " طهارة" و "نظافة". ..فأنت تعلم أن ذمتـه الماليـة موضـع شبهات وهو يشعر بأن على رأسه ريشة... لا أظنه قد نسي هذا الموقف لك. ومع هذا فإن الأمر بأكمله الآن في مكتـب المشير، ولا أظن أنهم سيظلمونك للنهاية إرضاء له... وفيما روى أبي، فإن أنور بك، صمت لحظة ثم قال: ولكنهم فـي مكتب المشير يحتاجون إلى حوافز! والـتقط أبـي طـرف الخيط، وقال مستوثقا ماذا تعني؟

- إنهم في مكتب المشـير، يعـانون مـن ضـغط العمل... الحالات التي يبحثونها كثيرة جداً ومعقدة وشـائكة. ولديهم آلاف المستندات والتقارير المتضاربة عن كل حالـة. ومرتباتهم ضعيفة كما تعلم.

قال أبي: معي ثلاثة آلاف جنيه. أحملها فـي حـزام فوق بطني. أنفق في هذه الأيام على نفسي، وعلى البيت، إلى أن يصرفوا لنا النفقة.

قال أنور بك: عظيم. أترك مسألة توصـيل المبلـغ على ا وعلى شخصياً. وإن شاء ا سينتهون مـن بحـث حالتك، ويرفعون عنك الحراسة في خـلال أسـبوع، علـى الأكثر، وقبل أن تحتاج إلى صرف النفقة.

* * *

بعد أيام ذهب أبي إلى أنور بك يسأله عن الأخبـار، قال له: إن صبري بك أرسل خطابا رسميا إلـى المجلـس، يطلب فيه إسقاط عضويته. وقال له: إنه هـو شخصـيا قـد اعترض على هذا الطلب، لأنه واثق من أن الحراسـة قـد فرضت بطريق الخطأ. واقترح بدلا من إسقاط العضوية منح أبي إجازة مرضية تعفيه من حضـور الجلسـات، إلـى أن يصدر قرار نهائي بشأنه، من مكتب المشير.

قال أبي: ولكنني لست مريضاً.

قال أنور بك: إفهم يا صعيدي. هذا مرض تكتيكي! !

كتب أبي طلبا للحصول على إجازة مرضـية لمـدة أسبوعين. ووافق أنور بك. وحفظ الطلب فـي ملـف أبـي بالمجلس.

بعد أسبوعين قال أنور بك لأبي: إن الأمور تسير في طريقها المرسوم، غير أن عليه أن يطلب تجديد إجازته المرضية لمدة أسبوعين آخرين فقط سوف يجئ خلالهما الفرج... بعدها جدد إجازته لمدة شهر كامل... وبعد ذلك حصل على إجازة مرضية مفتوحة! !

* * *

قبل أن يسقط أبي مشلولاً. قال، وكأنه يحدث نفسه:

- يخيل إلي أن أنور بك ليس له صلة لا بمكتب المشير، ولا بمكتب صبري بك.

وصمت طويلا، ثم قال: إذا صح ظني. فمعنى هذا.. أن آخر قطعة من اللحم الحي..

ولم يكمل العبارة إذ انكفأ على وجهه وراح يصدر صوتاً كالشخير.

* * *

في ذلك الوقت، ظهرت نتيجة ليسانس الحقوق، وكنت الأول على دفعتي، وفي ذلك العام، عينوا ثلاثة معيدين، بعد استبعاد الأول على الدفعة، الذي هو أنا.

استبعدوني أيضاً من النيابة، ومن مجلـس الدولـة، واستبعدوني من جهاز التعبئـة، رغـم أن رئـيس الجهـاز استدعاني بعد الامتحان الشفوي، وهنأني بنفسه، وقال لي: إن خطاب التعيين سوف يصلني قريباً، ..أغرب مـن هـذا أن نقابة المحامين لم تقبل قيدي كمحامٍ تحت التمرين، بحجة أنني مشمول بالحراسة العامة بالتبعية، وأنني مسلوب الأهلية! !

اضطررت وقتها للعمل من الباطن، في مكتب محام شهير من معارف أبي. أنسخ له القضايا من المحاكم، وأعـد له الدوسيهات، وأكتب له عرائض الدعوى والمذكرات التـي كان يقرؤها بتأفف ثم يلقيها جانباً، ثم أفاجأ بعد ذلـك بأنـه قدمها إلى المحكمة بإسمه دون تغيير حرف واحد. بل وتفاخر في مجالس المحامين، بأنه قد أثار في مذكراته دفوعاً لا مثيل لها في تاريخ القانون! !... وعن طريق هذا المكتب أقمـت الاعتراضات العديدة أمـام اللجـان القضـائية للإصـلاح الزراعي، مطالبا بالإفراج عن الأرض المستولي عليها.

* * *

حين حكمت اللجان القضائية لصـالحنا فـي نهايـة المطاف. وحين أعادوا إلينا أرضنا، أعادوهـا إلينـا مثقلـة

بالديون التي لا حد لها. وكان النحل لعلـة مـا قـد هجـر المناحل، وكانت حدائق الفاكهة قد أصيبت بشتى الآفات التي لم يفلح معها علاج، وتحولت في النهاية إلى أخشاب واضطر الحارس لتأجيرها. وحين أعادوها إلينا، أعادوها بمستأجريها الذين كانوا قد قلعوا الأشجار وزعـوا الأرض بالمحاصـيل التقليدية، ولم يعد لنا عندهم من ثم إلا الإيجار الضئيل،.. وما حدث للحدائق حدث للمشاتل، وتحولت من إنتـاج الشـتلات النادرة من الفواكه والزهور، إلى إنتـاج العـدس والفـول والفجل!!، وحتى العدس والفجل لم يكن من حقنا أن نطالـب من ثمنه إلا بملاليم هي قيمة الإيجار.

كانت الحراسة العامة بعد تأجير الأرض قد باعـت الآلات، والمعدات، والمواشي، بالمزاد العلني: الجرارات .. باعوا الواحد منها بثمن حمار، بحجة تعطلها، واسـتهلاكها، والحمار باعوه بثمن ماعز بحجة مرضه، وكبر سنه.. الـخ. وكانوا قد عينوا لكل ماكينة ري أسطى ومساعداً، وعـاملين للصيانة، وخفيراً للحراسة رغم أن أبي كثيرا ما كان يقـوم بتشغيل الماكينات وصيانتها بنفسه لا يساعده فـي ذلـك إلا الأسطى جمعة والأسطى فولى اللذان كانا يقومان بالحراسـة

في الوقت نفسه، واللذان كانا، مع ذلك، دائمي الشكوى، مـن قلة العمل، وكثرة الفراغ.

كان مئات العمال قد سجلوا أنفسـهم فـي كشـوف الحراسة، زاعمين أنهم يعملون عندنا منذ نصف قرن، رغـم أن بعضهم لم يكونوا قد بلغوا العشرين من العمر، وبعـد أن رفعت الحراسة، طالبوا بمكافأة نهاية الخدمـة، والمعـاش، والتأمينات، ورأينا لأول مرة وجوها لم نرها من قبل،وسمعنا أسماء لم نكن قد سمعنا بها، وانهالت علينا مطالبات التأمينات والضرائب التي لم يسددها الحارس العام. وكان بعض هـذه الضرائب مستحقا على الأرض التي باعها أبي إلـى أبنـاء عمومتي والتي لم ينقلوا تكليفها بعد إلـى أسـمائهم اكتفـاء بأحكام صحة التعاقد التي حصلوا عليهـا. وتـدفقت علينـا محاضر الحجز والتبديد التي كـان يحررهـا الصـيارف، ومندوبو التحصيل، وهم قابعون في مكاتبهم، دون أن يكلفوا أنفسهم حتى عناء المطالبة، كما هي العادة لـدى صـيارف الأرياف. ورغم رفع الحراسة، فقد ظل الإصلاح يفاجئنا بين الحين والحين بالإستيلاء على فدانين هنا أو قيراطين هنـاك، لا لسبب إلا لأن أحد موظيفه قد أخطأ مثلا في عملية جمع أو

طرح، أو أن إحدى إداراته قد نسيت أن ترسل مستنداً مـن إدارة إلى أخرى،... وفي كل مرة كنت أقيم الاعتراضات من جديد، وبعد جهد جهيد أحصل على قرارات بالإفراج.

في تلك الأيام بدأ أبي يبيع الأرض قطعة فقطعة لكي نسدد الديون، وننفق على العلاج.... وفي تلك الأيـام جـاء أبناء عمومتنا من جديد... قالوا لأبي: من أحق بالأرض التي تبيعها لأبناء العائلات الأخرى. قال لهم أبي فـي صـعوبة بالغة: إنني مريض.

قالوا: ألف سلامة يا سعادة البك.

قال: الكمبيالات القديمة التي أخذتها علـيكم سـقطت بالتقادم.

قالوا: نجددها، ونكتب لك كمبيالات أخـرى بـثمن الأرض الجديدة! !

قال: وهل أعالج نفسي بكمبيالات، أم أسـدد ديـوني بكمبيالات. إنكم حتى لم تعطوني كيلة واحدة من المحصـول الذي اتفقنا عليه!

حين هموا بالاستمرار في المجادلة. حاول أن يشـيح بوجهه عنهم، فلم يستطع.

قال: اعدلني يا ولدي. لا أريد أن أرى وجه أحد.

حينما سمعوا ذلك، انصرفوا خجلين.

بعد موت أبي، ورغم الأرض الكثيرة التي باعهـا، والتي استهلكت معظم ملكيته تقريبا، كنا لا نـزال مـدينين، وكانت ديوننا ما تزال ثقيلة وفادحة.

بعد زيارة الشيخ فزاع توالت الزيارات. الحاج "تمام" يقول: إن سبعة أفدنة من ميراث جده تقع داخل أرضنا فـي منطقة الجبل الشرقي. وإن المرحوم والدي كان يدفع إيجارها بالتراضي، وبدون أوراق مكتوبة. وعبثا حاولت إقناعه بـأن أرض الجبل الشرقي بأكملها كانت صحراء، وأن والدي قـد استصلحها بنفسه، وليس من المعقول أن يرث جده أرضا في الصحراء لأن الصحراء كلها ملك للحكومة، فضلا عن أن ما تبقى من أرضنا في الجبل الشرقي، هو ثلاثة أفدنة فقط، غير أنه، دون أن أطلب منه، جاء في اليوم التالي وقد أحضر معه مصحفا، وأقسم على صحة ما يقول، ثم جاء في اليوم الثالث وقد أحضر الدلال "عجايبي أندراوس"، الذي أيد كلامه مـن واقع بعض الدفاتر التي تقول: إن سعيد باشا خديوي مصـر قد أقطع أرض الجبل الشرقي لجده حسين الكاشف!! غير أن

الدلال جاءني وحده في المساء، وقال لي: إنه رجل ضلالي، وصاحب شر وإنه قد اضطره إلى هذا الكلام الذي يعلم أنه لا ينطلي على جاهل. وإنه من باب أولى فهو لا ينطلي علـى متعلم من رجال القانون. وقبل أن يمضـي طلـب أتعـاب المشوار، فأعطيته ما فيه النصيب.

وبعد زيارة الحاج "تمام" كانت زيارة الشيخ "عليـوه" الذي قال: لي إنه تبادل مع أبي: خمسة أفدنة بثلاثة، وإن لـه في ذمتي إيجار فدانين، وإن معه شرطاً بذلك، وحين قدم لي الشرط اكتشفت إننا نحن الذين نستحق إيجار الفرق لا هـو، وعندما واجهته بذلك، قال لي: هذا شرط آخر، وذهب ولـم يعد.

بعدها زارني أولاد الزهري، يطالبون بفصل الحدود بيننا وبينهم. وجاءني أولاد غانم يقولون إن المشـرع أكـل ثلاثة أرباع الأرض التي يستأجرونها ويطلبون استنزالها من عقد الإيجار، وجاءني أولاد النعمان يقولون إن أولاد زهيري قد استولوا بقوة السلاح على الأرض التي كان أبي يؤجرهـا لأبيهم النعمان، وإن أولاد زهيري يقولون: إنهم اشتروها من ورثة جرجس باشا واصف ومعهم عقـد مسـجل بـذلك...

وجاءني... وجاءني... وجاءني... وفي كل مرة كان أبنـاء عمومتي يجيئون بعدها ومعهم بنـادقهم الآليـة ويقولـون: الادعاءات الباطلة لا يحسمها إلا السلاح. وكنت أقـول لهـم سلاحي الوحيد هو القانون والمحكمة، ولا أريد سلاحا غيره. ويقولون: ولكن ما تبقى من أرضك سوف يضيع بهذا الشكل. وأهم بأن أقول لهم: "وبغير هذا الشكل سوف يضيع أسرع".

ولكنني لم أجد داعياً لأن أقول ذلك.

في لحظات نادرة أحلم بأن أعيـد أمجـاد أبـي؛ أن أشـتري الماكينـات، وأدق المواسـير، وأحفـر القنـوات والمصارف فتخضر الرمال، غير أنني عندما أتذكر نظراته الحزينة الضارعة أحلم بأن أهرب إلى مكان بعيد.. بعيد.

***

في يوم ذكراه السنوية، وبعد أن انتهى حفل التـأبين، أويت إلى فراشي،... رأيت نفسي في منامي ميتـا. وكـان جثماني مسجى على سرير متعدد الطوابق، من ذلك النـوع الذي يستعمله البحارة والجنود. وكان ثمة من ينظر إلي، وأنا أطل عليه، بنظراتي الحزينة.

كتبت عام ١٩٩٢ونشرت في العدد الأسبوعى مـن جريدة الأهرام التي قامت بحذف بعض الفقرات ومـن ثـم نشرت بعد ذلك كاملة في مجلة "إبداع" عدد يوليو ١٩٩٣

حدث في القرن الخامس عشر الهجرى
قراءة في العدد التذكارى من مجلة (....)
الصادرة في نهاية العام الهجري ١٥٩٩ـ
الموافق ٢١٧٣ ميلادية "

*** * ***

تمهـــــــيد

كتبت هذا الموضوع عام ١٩٩١، ومنـذ ذلـك التاريخ ظللت أبحث عبثا عن مجلـة أو صـحيفة ترحـب بنشره، ...طرقت أبواب سائر الصحف والمجلات التي كانت أعمالى دائما موضع ترحيبها على مستوى العـالم العربـى بأكمله،.. لكن واحدة منها لم تقم ـ لا أدرى لماذا ـ بنشره .

ثم قدر له بعد ذلك بسنوات أن يجد طريقه إلـى مـا يمكن أن نسميه (مجازا) بالنشر، وذلك مـن خـلال العـدد التجريبى الثانى لمجلة "النداء" التي كان الراحـل الكبيـر الأستاذ الدكتور شكرى عياد يعتزم إصدارها فـي مصـر، غير أن السلطات المختصة صادرت حقها في الصدور مـن خلال رفضها إعطاءها ترخيص الصدور رغـم اسـتيفائها لكافة الاشتراطات التي نص عليها القانون، ورغم إصـدارها لعددين تجريبيين طبع من كل منهما عدد محدود جـدا مـن النسخ. .. وقد تردد وقتها أن اجتراءهـا علـى نشـر هـذا الموضوع هو في مقدمة الأسباب التي حالـت دون منحهـا رخصة الصدور.

ثم قدر له مرة أخرى أن يجد طريقه إلى ما يمكن أن نسميه للمرة الثانية وعلى سبيل المجاز أيضا بالنشر عنـدما ضممته إلى مواد كتابى "رموز السياسة : رموز الصـحافة، وهمو م أخرى " والذى صدرت طبعته الأولـى فـي عـام ٢٠٠٠ عن دار الوفاء بالإسكندرية في عـدد محـدود مـن النسخ، والذى اشتمل على مجموعة مختارة مـن المقـالات الصحفية التي نشرتها مـابين عـامى ١٩٩٠و٢٠٠٠والتـى

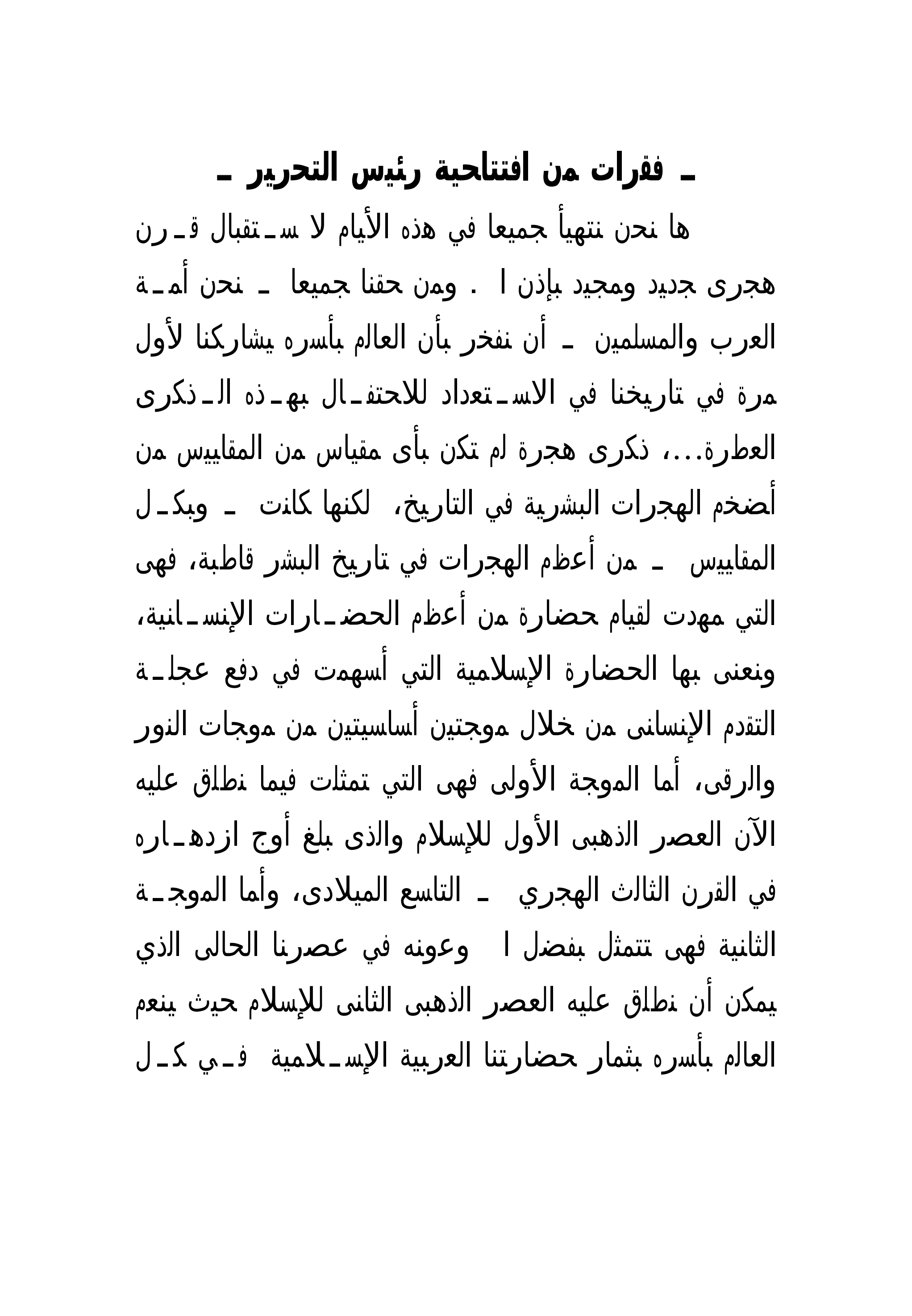
خشيت عليها أن تندثر فلا يبقى منها بين يدى شـئ بعـد أن ضاعت معظم أصولها، رغم أن بعضها ـ ومن بينها هـذا الموضوع ـ لا يخلو من الأهمية الفكرية، وإن كان أغلبها ذا طابع يمكن أن يوصف بأنه خفيف (الظـل فيمـا أزعـم ـ والقيمة فيما يزعم البعض !)..

ثم أتيحت لهذا الموضوع فرصة حقيقية للنشـر، أو بالأحرى (فرصة للشروع في النشر)، عندما قررت جريدة "العربى"، التي تصدر عن الحـزب الناصـرى أن تنشـره مسلسلا على حلقتين، وبالفعل نشرت الحلقة الأولى في عدد٥ يناير٢٠٠٣ مع تنويه بأن الحلقة الثانية ستصدر فـي العـدد التالى، وقد صدر العدد التالي يحمل اعتذارا عن عدم النشـر في هذا العدد وتنويها جديدا بأن الحلقة الثانية ستنشـر فـي الأسبوع القادم، ثم ...لم تنشر قط

ويبقى أن أشير إلى أننى عندما كتبته عـام ١٩٩١ في أعقاب حرب الخليج، لم يكن يعنينى أن أتنبأ بما يمكـن أن يحدث في السنوات القادمة، ولم يكن يعنينى أن أحـاول رسم سيناريو ما للأحداث المقبلة، ولم يكن يعنينى كـذلك أن أسخر من نظم عربية بعينها، ولكن ما كان يعنينى في المقام

الأول هو أن أنبه ـ من خلال شكل أدبى يقع ما بين القصة والمقال ـ إلى ما أراه من سلبيات العقل العربى التي سوف تقودنا إلى كارثة محققة إلا إذا ....

د/ نصـــار عبداللـــــه



ـ فقرات من افتتاحية رئيس التحرير ـ

ها نحن نتهيأ جميعا في هذه الأيام لا سـتقبال قـرن هجرى جديد ومجيد بإذن ا . ومن حقنا جميعا ـ نحن أمـة العرب والمسلمين ـ أن نفخر بأن العالم بأسره يشاركنا لأول مرة في تاريخنا في الاسـتعداد للاحتفـال بهـذه الـذكرى العطرة...، ذكرى هجرة لم تكن بأى مقياس من المقاييس من أضخم الهجرات البشرية في التاريخ، لكنها كانت ـ وبكـل المقاييس ـ من أعظم الهجرات في تاريخ البشر قاطبة، فهى التي مهدت لقيام حضارة من أعظم الحضـارات الإنسـانية، ونعنى بها الحضارة الإسلامية التي أسهمت في دفع عجلـة التقدم الإنسانى من خلال موجتين أساسيتين من موجات النور والرقى، أما الموجة الأولى فهى التي تمثلت فيما نطلق عليه الآن العصر الذهبى الأول للإسلام والذى بلغ أوج ازدهـاره في القرن الثالث الهجري ـ التاسع الميلادى، وأما الموجـة الثانية فهى تتمثل بفضل ا وعونه في عصرنا الحالى الذي يمكن أن نطلق عليه العصر الذهبى الثانى للإسلام حيث ينعم العالم بأسره بثمار حضارتنا العربية الإسـلامية فـي كـل

مجالات العلوم والفنون والآداب والنظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

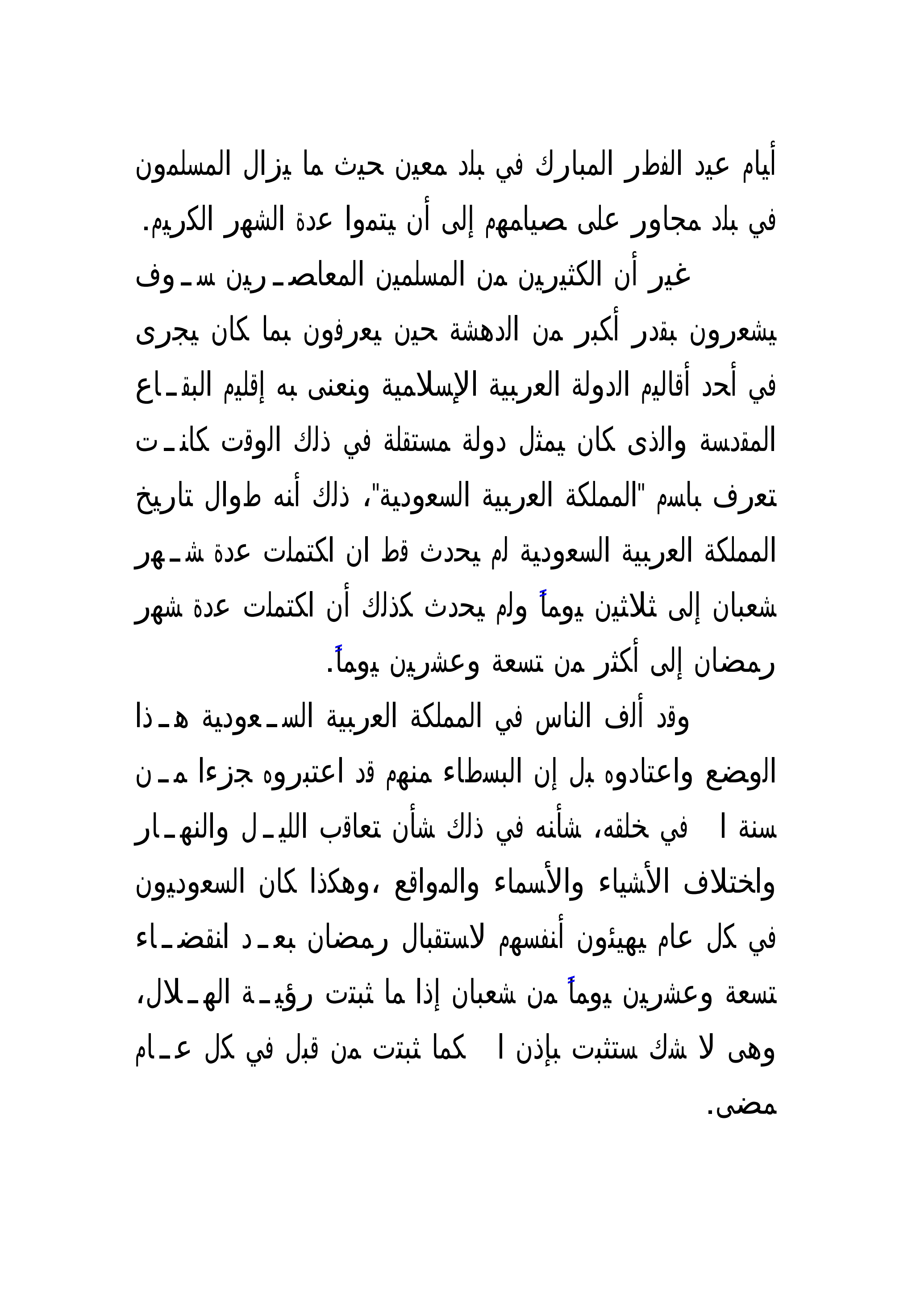
وفى هذا العدد التذكارى مـن (...) الـذي يصـدر بعنوان "الإسلام : قرن ذهبى جديد من الحضارة الإسـلامية الخالدة "سوف يجد القارئ سجلا حافلا لإنجازات الحضـارة الإسلامية خلال القرن المنصرم، كما سوف يطالع توقعـات كبار مفكرينا لما سوف يتحقق بعون ا خلال القرن القادم : القرن السابع عشر الهجري وفى هذا العـدد أيضـا سـوف نستعيد معا ذكريات تلك الأزمة الطاحنة التي شهدها القـرن الخامس عشر الهجري والتي عرفت بأزمة الرؤيـة (رؤيـة هلال شهر رمضان)، والتي ترتب عليها قيام حرب الخليج الثانية، عام ١٤٢١هـ، الموافق لعام ٢٠٠٠م[1] أي بعد نحو تسعة أعوام فقط من قيام حرب الخليج الاولى عام ١٤١١هـ الموافق ١٩٩١. ورغم أن كلا الحربين قـد ألحقتـا بالامـة العربية والاسلامية أفدح الكوارث والاهوال، إلا انهما فيمـا يرى الكثيرون من المؤرخين قد كانتا البداية الحقيقية للصحوة

([1]) يطلق عليها أحياناً الخليج الثانية باعتبار أن الحرب الأولـى هـي الحرب العراقية الإيرانية.

الكبرى، صحوة العقل العربى من غياهب الجهـل والظـلام الذي اتسم به القرن الخامس عشر، ومهدتا من ثم لهذه الطفرة الهائلة التي انتقلت بالعام العربى في مدى قرن واحـد مـن الزمان من موقف التابع إلى موقف المشـارك فـي صـنع الحضارة، ثم إلى موقع الرائد والقائد الذي تقتفـى خطواتـه وتستفيد منها وتضيف إليها كل شعوب الأرض. اقرأ علـى صفحة ١٦ من هذا العدد "أزمة هلال رمضان" !!

أزمة هلال رمضان

لا شك أن الكثيرين من المسلمين المعاصرين سوف يشعرون بالدهشة البالغة إذا عرفوا أن شهر رمضان المعظم لم يكن فيما مضى يبدأ في نفس التوقيت فـي سـائر الـبلاد الإسلامية، حتى تلك البلاد الواقعة على نفس خـط الطـول الجغرافى، وأن الوضع قد استمر كذلك حتى بعـد انقضـاء عقدين كاملين من القرن السادس عشر الهجرى،إذ كان مـن المألوف جداً أن يبدأ المسلمون صيامهم فـي أحـد الـبلاد الإسلامية حيث ما يزال المسلمون في بلد مجاور ينتظـرون انقضاء شهر شعبان يوماً آخر، أو يومين، وربما ثلاثة أيـام في بعض الحالات!! كما كان من المألوف كذلك أن تنقضـى



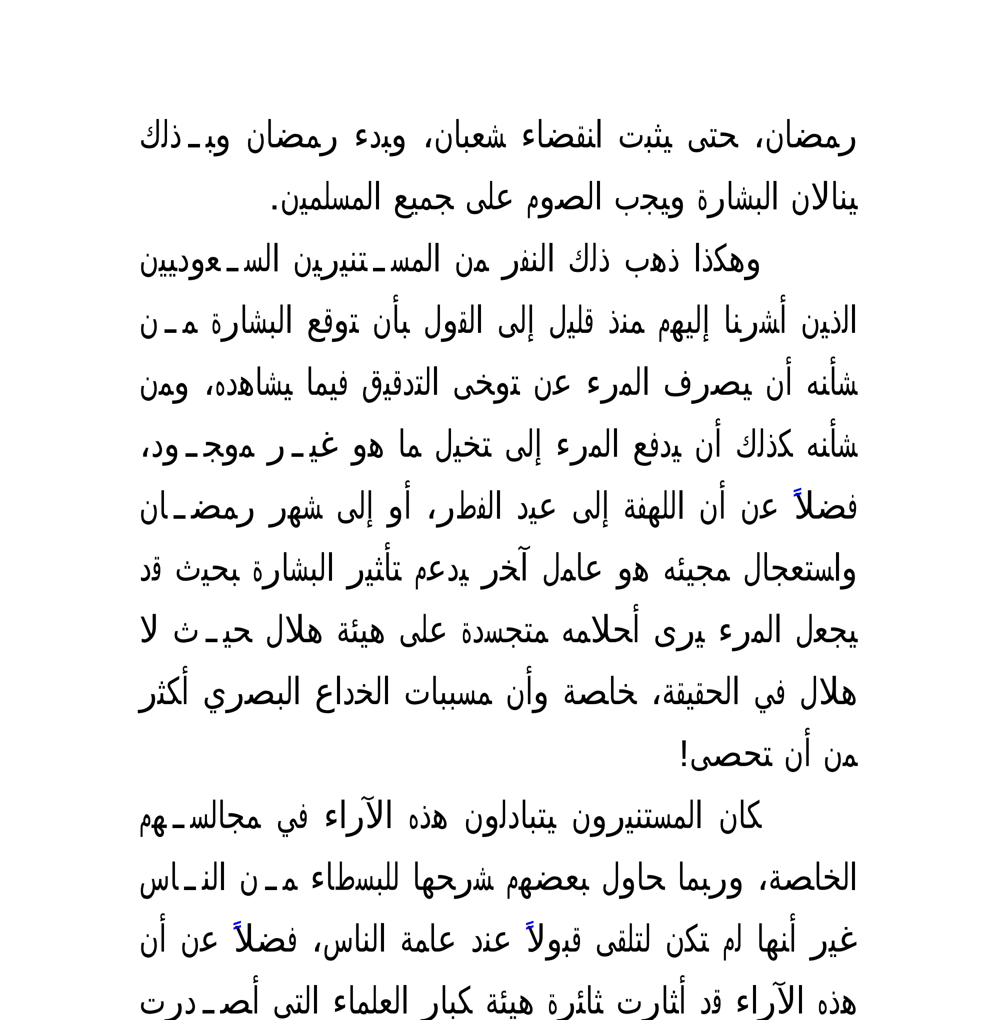
أيام عيد الفطر المبارك في بلد معين حيث ما يزال المسلمون في بلد مجاور على صيامهم إلى أن يتموا عدة الشهر الكريم.

غير أن الكثيرين من المسلمين المعاصرين سوف يشعرون بقدر أكبر من الدهشة حين يعرفون بما كان يجرى في أحد أقاليم الدولة العربية الإسلامية ونعنى به إقليم البقاع المقدسة والذى كان يمثل دولة مستقلة في ذلك الوقت كانت تعرف باسم "المملكة العربية السعودية"، ذلك أنه طوال تاريخ المملكة العربية السعودية لم يحدث قط ان اكتملات عدة شهر شعبان إلى ثلاثين يوماً ولم يحدث كذلك أن اكتملات عدة شهر رمضان إلى أكثر من تسعة وعشرين يوماً.

وقد ألف الناس في المملكة العربية السعودية هذا الوضع واعتادوه بل إن البسطاء منهم قد اعتبروه جزءا من سنة ا في خلقه، شأنه في ذلك شأن تعاقب الليل والنهار واختلاف الأشياء والأسماء والمواقع ،وهكذا كان السعوديون في كل عام يهيئون أنفسهم لاستقبال رمضان بعد انقضاء تسعة وعشرين يوماً من شعبان إذا ما ثبتت رؤية الهلال، وهى لا شك ستثبت بإذن ا كما ثبتت من قبل في كل عام مضى.

ومع هذا فإن هذا الوضع الذي تفرد به شهرا شعبان ورمضان كثيراً ما كان يحير بعض النـاس ويـدفعهم إلـى التفكير في أمره لاستكشاف الحكمة الإلهية التي توخاهـا ا سبحانه وتعالى حين شاءت إرادته الإلهية ألا تكتمل عدة أي من هذين الشهرين الكريمين إلى ثلاثين يوماً، حيث ذهبوا في ذلك إلى مذاهب شتى، فقال نفر منهم بأن حدثا جللاً سـوف يصيب المملكة إذا ما اكتملت عدة شعبان أو رمضان، وقـد قضى لطفه وكرمه تعالى بأن يجنب المملكة هـذا الحـادث الجلل إلى الآن، في حين ذهب نفر آخر مـن المسـتنيرين- خاصة أولئك الذين نالوا قسطاً من التعليم خـارج المملكـة- إلى أن نظام البشارة هو المسئول (البشارة هي تلك المنحـة المالية السخية التي كان يحصل عليها أولئك الذين يسـبقون غيرهم إلى اثبات رؤيتهم لهلال رمضان).

كان تحديد بداية شهر رمضان يجرى مثلما يجـرى الآن تماماً طبقاً للحديث الشريف:"صوموا لرؤيته وأفطـروا لرؤيته" غير أن المملكة العربية السعودية كانت تعتد بالرؤية البصرية القائمة على العين المجردة، ومن ثم فقد كان يكفـى أن يبادر شاهدان- إلى إثبات شهادتهما بأنهما قد رأيا هـلال



رمضان، حتى يثبت انقضاء شعبان، وبدء رمضان وبذلك ينالان البشارة ويجب الصوم على جميع المسلمين.

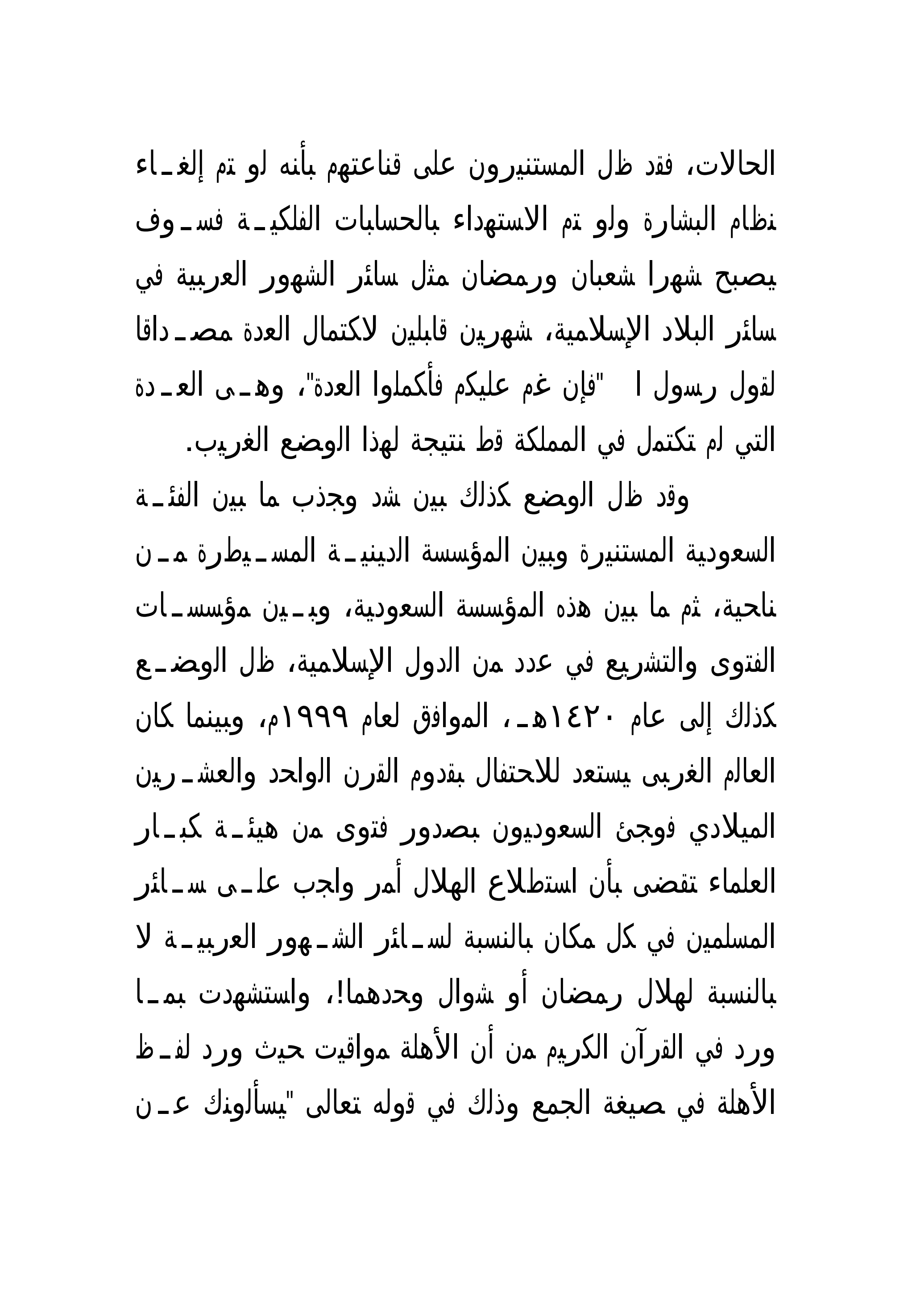
وهكذا ذهب ذلك النفر من المستنيرين السعوديين الذين أشرنا إليهم منذ قليل إلى القول بأن توقع البشارة من شأنه أن يصرف المرء عن توخى التدقيق فيما يشاهده، ومن شأنه كذلك أن يدفع المرء إلى تخيل ما هو غير موجود، فضلاً عن أن اللهفة إلى عيد الفطر، أو إلى شهر رمضان واستعجال مجيئه هو عامل آخر يدعم تأثير البشارة بحيث قد يجعل المرء يرى أحلامه متجسدة على هيئة هلال حيث لا هلال في الحقيقة، خاصة وأن مسببات الخداع البصري أكثر من أن تحصى!

كان المستنيرون يتبادلون هذه الآراء في مجالسهم الخاصة، وربما حاول بعضهم شرحها للبسطاء من الناس غير أنها لم تكن لتلقى قبولاً عند عامة الناس، فضلاً عن أن هذه الآراء قد أثارت ثائرة هيئة كبار العلماء التي أصدرت البيان تلو البيان لتحذير الناس من الإستماع إلى هذه الآراء التي وصفتها بأنها ضلالات وأباطيل، ووصفت أصحابها بأنهم فئة من المرجفين والمشككين الخارجين على أحكام

الشرع والدين الذين يريدون أن يطفئوا نور ا بأفواههم وأن يمحقوا تلك النعمة الكبرى التى أنعم بها ا على هـذا البلـد الأمين إذ جعل من شهر شعبان تسعة وعشرين يوماً فقـرب من شهر رمضان، وجعل من رمضان تسعة وعشرين يومـاً فقـرب من عيد الفطر المبارك!!

وفى أحد هذه البيانات حملت هيئة كبار العلماء حملة كبرى على بعض الدول الإسـلامية التـي أخـذت بنظـام الحسابات الفلكية ورفضت أن تعتد بالرؤية بالعين المجردة ما لم تكن هذه الرؤية مدعمة بالحسابات والأجهزة إلى آخر تلك البدع التي ابتدعها النصارى والكفـار مـن أهـل الغـرب، ووصفت تلك الدول بأنها هي المسئولة عن إفساد أفكار نفـر من الشباب السعودي الذين يطالبون بالاقتداء بهـا والتأسـى بمفاسدها بدلا من التأسى بسنة رسول ا وبالسلف الصـالح من الصحابة والتابعين، أولئك الذين التزموا باستطلاع الهلال بالعين المجردة منذ أن أوصانا صلاة ا وسلامه عليه بذلك وإلى يوم الدين.

ورغم هذه البيانات الملتهبة التي كثيراً ما حملت في طياتها تهديداً ووعيداً مستتراً بـل وصـريحاً فـي بعـض



الحالات، فقد ظل المستنيرون على قناعتهم بأنه لو تم إلغـاء نظام البشارة ولو تم الاستهداء بالحسابات الفلكيـة فسـوف يصبح شهرا شعبان ورمضان مثل سائر الشهور العربية في سائر البلاد الإسلامية، شهرين قابلين لاكتمال العدة مصـداقا لقول رسول ا "فإن غم عليكم فأكملوا العدة"، وهـى العـدة التي لم تكتمل في المملكة قط نتيجة لهذا الوضع الغريب.

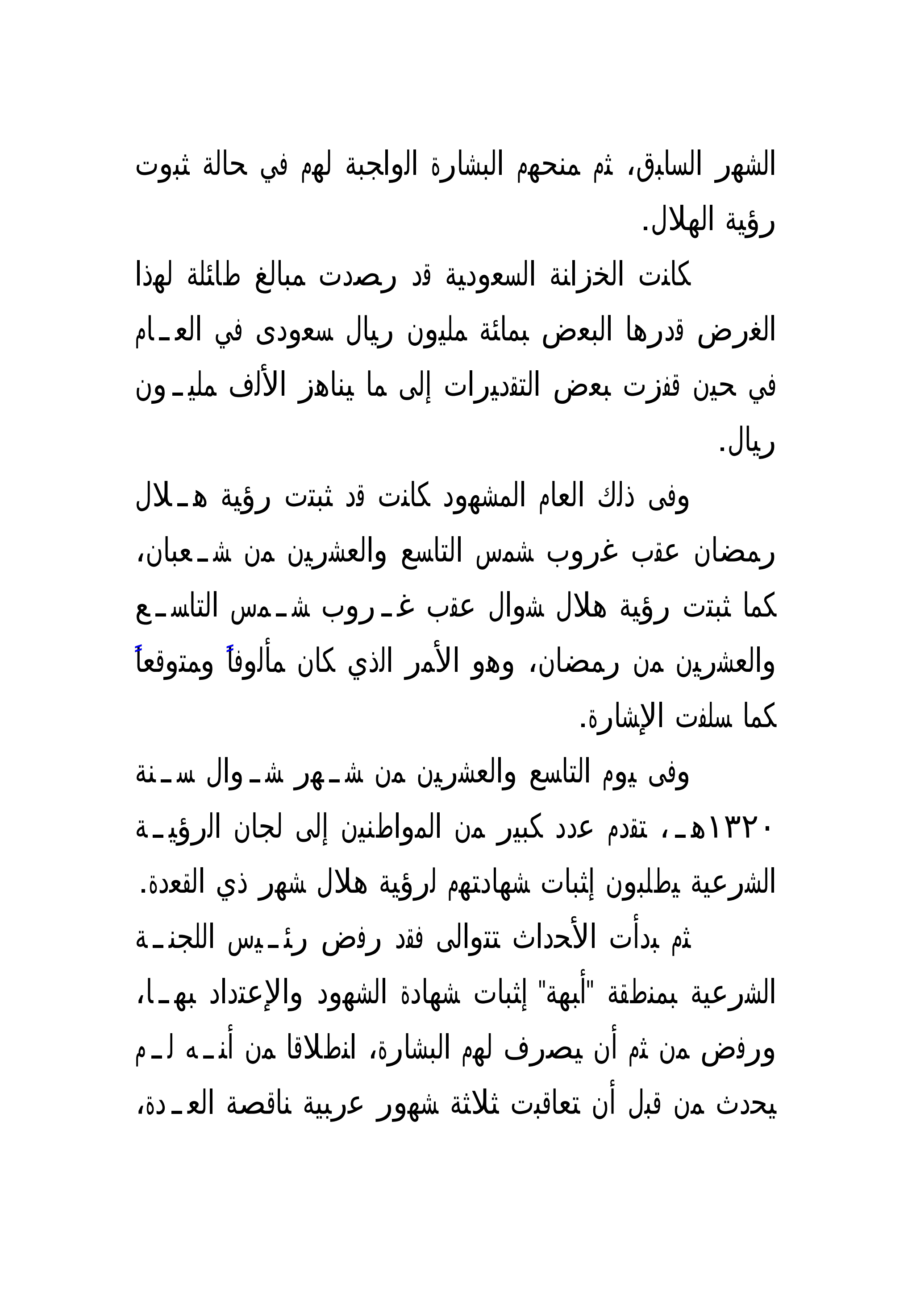
وقد ظل الوضع كذلك بين شد وجذب ما بين الفئـة السعودية المستنيرة وبين المؤسسة الدينيـة المسـيطرة مـن ناحية، ثم ما بين هذه المؤسسة السعودية، وبـين مؤسسـات الفتوى والتشريع في عدد من الدول الإسلامية، ظل الوضـع كذلك إلى عام ١٤٢٠هـ، الموافق لعام ١٩٩٩م، وبينما كان العالم الغربى يستعد للاحتفال بقدوم القرن الواحد والعشـرين الميلادي فوجئ السعوديون بصدور فتوى من هيئـة كبـار العلماء تقضى بأن استطلاع الهلال أمر واجب علـى سـائر المسلمين في كل مكان بالنسبة لسـائر الشـهور العربيـة لا بالنسبة لهلال رمضان أو شوال وحدهما!، واستشهدت بمـا ورد في القرآن الكريم من أن الأهلة مواقيت حيث ورد لفـظ الأهلة في صيغة الجمع وذلك في قوله تعالى "يسألونك عـن

الأهلة[12]"، وختمت الهيئة بيانها بإصدار توصية بتعميم نظام البشارة وزيادة الاعتمادات المالية المخصصة لهذا الغرض، وقد تضاربت التفسيرات حول دوافع هذه التوصية وإن كـان التفسير الأرجح أنها نوع من التحدى وإثبـات القـوة فـي مواجهة الاتجاهات السعودية المستنيرة التي كانـت تتزايـد عاماً بعد عام، فبدلاً من أن تعدل الهيئة عن نظـام البشـارة المرتبط بمبدأ الاعتداد بالرؤية بالعين المجردة، قامت الهيئـة بدلاً من ذلك بتعميم ذلك النظام بحيث يشمل سائر الشـهور العربية واختارت لذلك توقيتاً لـه دلالتـه وهـو الاسـتعداد للاحتفال بالقرن الميلادي الجديد من قبل العـالم المسـيحى، مؤكدة بذلك تمسك العالم الإسلامى بأصالته وبتراثه.

وتنفيذاً لهذه التوصية قد تم تقسيم المملكة إلى نيـف وثلاثمائة منطقة وفى كل منطقة تم تعيين لجنة شرعية أوكل إليها مهمة تلقى بلاغات المواطنين وإثبات شهاداتهم برؤيـة الهلال الجديدعقب غروب شمس اليوم التاسع والعشرين من

1

(٢) سورة البقرة آية: ١٨٩.


الشهر السابق، ثم منحهم البشارة الواجبة لهم في حالة ثبوت رؤية الهلال.

كانت الخزانة السعودية قد رصدت مبالغ طائلة لهذا الغرض قدرها البعض بمائة مليون ريال سعودى في العـام في حين قفزت بعض التقديرات إلى ما يناهز الألف مليـون ريال.

وفى ذلك العام المشهود كانت قد ثبتت رؤية هـلال رمضان عقب غروب شمس التاسع والعشرين من شـعبان، كما ثبتت رؤية هلال شوال عقب غـروب شـمس التاسـع والعشرين من رمضان، وهو الأمر الذي كان مألوفاً ومتوقعاً كما سلفت الإشارة.

وفى يوم التاسع والعشرين من شـهر شـوال سـنة ١٣٢٠هـ، تقدم عدد كبير من المواطنين إلى لجان الرؤيـة الشرعية يطلبون إثبات شهادتهم لرؤية هلال شهر ذي القعدة.

ثم بدأت الأحداث تتوالى فقد رفض رئـيس اللجنـة الشرعية بمنطقة "أبهة" إثبات شهادة الشهود والإعتداد بهـا، ورفض من ثم أن يصرف لهم البشارة، انطلاقا من أنـه لـم يحدث من قبل أن تعاقبت ثلاثة شهور عربية ناقصة العـدة،

فضلاً عن أنه هو شخصياً، ورغم حدة بصره لم يشاهد هلال شوال إلا في اليوم الثالث من شهر شوال فكيف بهـلال ذي القعدة؟؟

كان الشيخ "عبد الكريم بن ثابـت" رئـيس اللجنـة الشرعية بمنطقة أبهة رجلاً حاد الذكاء واسع المعرفة بأمور الدين والدنيا، وكان قد تلقى جانباً من تعليمه فـي الأزهـر الشريف بمصر حيث أتيح لـه أن يلتقـى بعلمـاء مصـر ومفكريها وأن يتناقش معهم ممـا زاده سـعة فـي الأفـق بالإضافة إلى ما كان يتمتع به أصلاً من ذكاء فطرى.

غير أنه على الرغم من موقف الشيخ بن ثابت فقـد ثبتت رؤية هلال ذي القعدة حيث أعلن رسمياً في المملكة أن غداً اليوم الأول من أيام شهر ذي القعدة لعـام ١٣٢٠ مـن الهجرة الشريفة، واستدعى الشيخ ثابت للمثول أمام هيئة كبار العلماء بناء على الشكاوى العديدة التي تقدم بها المواطنـون الذين لم تثبت شهادتهم ولم يحصلوا من ثم على بشارتهم.

***

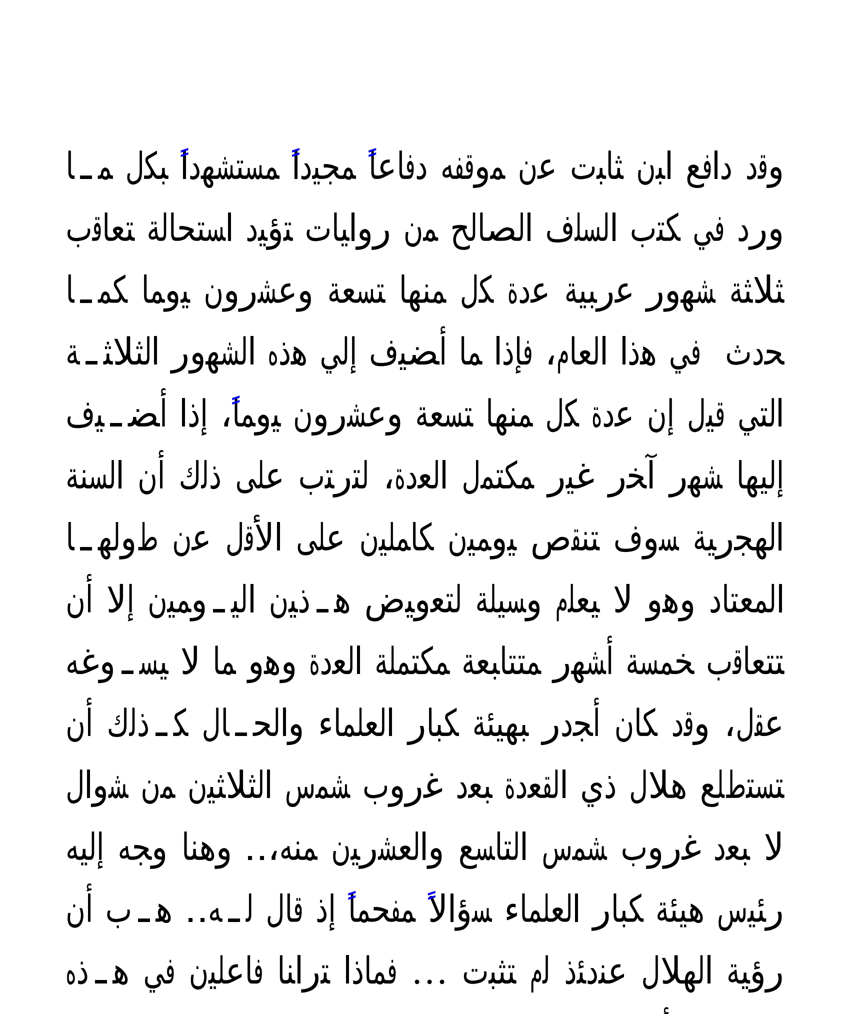
أصدرت هيئة كبار العلماء بهذه المناسبة بيانا جـاء فيه أن الذين ينكرون ما هو ثابت في الكتاب والسنة سـوف

تهدر دماؤهم، وأن الذين يفترون على ا كذباً سوف تقطـع ألسنتهم، وأن الذين يجحدون شهادة مسـلمين ثقـات عـدول تطوعوا للإدلاء بشهادتهم ابتغاء مرضاة ا وتبشيراً لسـائر المسلمين بقدوم شهر جديد مبارك، أولئك الذين يطعنون فـي نزاهة وأمانة إخوانهم من المسلمين سوف يجلدون علناً وعلى رءوس الأشهاد مهما، كان قدرهم وأيا ما كانت مكانتهم.

كل ذاك كان إشارات واضحة إلى ما سوف ينتظـر الشيخ ابن ثابت من مصير أليم أهون احتمالاته هـي الجلـد علناًعلى رءوس الإِشهاد وهو ما جعله يمثل أمام هيئة كبـار العلماء وقد امتلأ قلبه رعبا.

* * *

مثل الشيخ عبد الحكيم بن ثابت أمام هيئة كبـار العلماء صباح الثالث من شهر ذي القعدة سـنة ١٤٢٠هـ ـ، (طبقاً للتقويم الشرعى المعتمد).. مثل متهماً بالعديد من التهم منها الإمتناع عن أداء واجبات وظيفته الشرعية، والإمتنـاع عن إثبات شهادة شهود ثقات عدول مما يتضمن طعنـاً فـي نزاهتهم وأمانتهم بغير وجه حق، خاصة وأن شـهادتهم قـد جاءت متطابقة من شهادة الآلاف من أبناء هذا البلد الأمـين.



وقد دافع ابن ثابت عن موقفه دفاعاً مجيداً مستشهداً بكل مـا ورد في كتب السلف الصالح من روايات تؤيد استحالة تعاقب ثلاثة شهور عربية عدة كل منها تسعة وعشرون يوما كمـا حدث في هذا العام، فإذا ما أضيف إلي هذه الشهور الثلاثـة التي قيل إن عدة كل منها تسعة وعشرون يوماً، إذا أضـيف إليها شهر آخر غير مكتمل العدة، لترتب على ذلك أن السنة الهجرية سوف تنقص يومين كاملين على الأقل عن طولهـا المعتاد وهو لا يعلم وسيلة لتعويض هـذين اليـومين إلا أن تتعاقب خمسة أشهر متتابعة مكتملة العدة وهو ما لا يسـوغه عقل، وقد كان أجدر بهيئة كبار العلماء والحـال كـذلك أن تستطلع هلال ذي القعدة بعد غروب شمس الثلاثين من شوال لا بعد غروب شمس التاسع والعشرين منه،.. وهنا وجه إليه رئيس هيئة كبار العلماء سؤالاً مفحماً إذ قال لـه.. هـب أن رؤية الهلال عندئذ لم تثبت ... فماذا ترانا فاعلين في هـذه الحالة؟.. أنضيف يوماً إلى شهر شوال فتصبح عدته واحـداً وثلاثين يوماً مثل شهور الكفّـار والنصارى؟ وأرتج على الشيخ عبد الحكيم لبضع لحظات، غير أنـه لـم يحـاول أن يواجه الهيئة بدفاعه الحاسم الذي كان يخفيه في صدره، لـم

يحاول أن يقول للهيئة: تعالوا بنا إلى كلمة سواء.. ها نحـن في اليوم الثالث من ذي القعدة كما تقولون.. فتعالوا بنا ننظر إلى السماء معاً بعد غروب الشمس.. تعالوا بنا نتطلـع إلـى الهلال لنرى من هيئته وحاله والمدة التي سوف يستغرقها بعد غروب الشمس.. تعالوا بنا ننظر كم سيمكث بعـد غـروب الشمس لنعرف إن كان وليد ثلاثة أيام أم يومين أم إنه وليـد هذا اليوم فحسب... ؟

لم يحاول أن يواجههم بهذه الحجة الحاسمة حتـى لا يجرح شعورهم فقد كان رئيس هيئة كبـار العلمـاء شـيخاً ضريراً، كما كان بقية أعضاء الهيئة من المكفوفين أو أشباه المكفوفين وهكذا اكتفى بأن قال رداً على سؤال الهيئة:إنهـا كانت ستثبت بإذن ا يوم الثلاثين، فقد ثبتت كما تقولون يوم التاسع والعشرين بشهادة مشكوك فيها، بـل إنهـا مقطـوع ببطلانها، فكيف لا تثبت بشهادة أقرب إلى الحق. ويبـدو أن لسانه قد خانه في هذه العبارة الأخيرة إذ اعتبرتهـا الهيئـة اعترافاً منه بأنه يشكك في أمانة الشهود ويطعن في نزاهتهم بل ويطعن في المسألة بأسرها فطلبت إليه أن يلزم داره إلى أن يصدر قرارها بشأنه.

* * *

روى عن الشيخ عبد الحكيم بن ثابت أنه رفع يديـه إلى السماء وهو يدخل داره قائلاً "اللهم إنك تعلم مدى إيمانى بك وغيرتى على دينك وأمتك، فكن عونى، أنت حسبى ونعم الوكيل".. ثم دخل داره ولم يسمح لأحد بزيارته تنفيذا لأمـر الهيئة.

* *

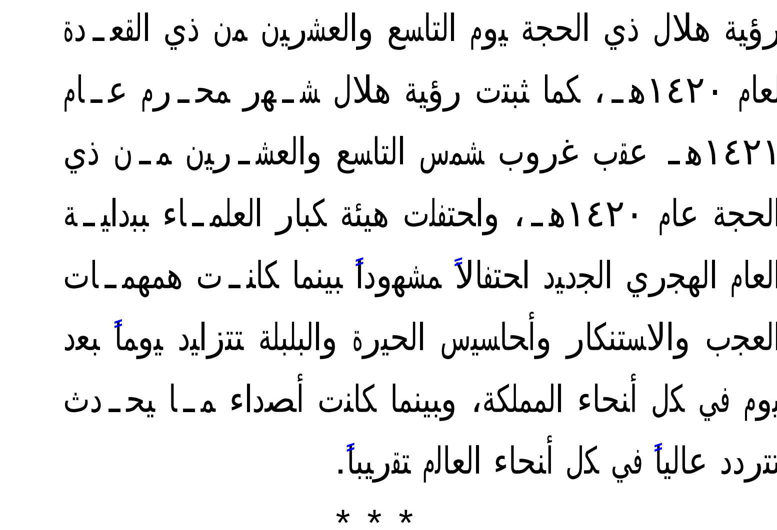
كانـت وكالات الأنباء قد تناقلت أنباء هذه الأزمـة وأصبحت هي المادة المفضلة في كثير من الصحف العربيـة والأجنبية، وكانت صحف ومجلات دار الهلال المصرية قـد انفردت بتخصيص مساحات ضخمة مـن صـفحاتها لهـذا الموضوع حيث صدرت مجلة الهلال تحمل مانشيتا رئيسـاً هو "الهلال.. بين الحقيقة والخيال" حيث اسـتطلعت المجلـة آراء عدد كبير من الكتاب والمفكرين والعلماء ورجال الدين ونجوم المجتمع والمواطنين العاديين في هذه القضـية، وقـد أبدت المجلة تعاطفاً كبيراً مع hموقف الشيخ عبـد الحكـيم، ووجهت الدعوة إلى قرائها لإرسال البرقيات والرسائل إلـى هيئة كبار العلماء وإلى خادم الحرمين (اللقـب الـذين كـان

يحمله ملك البلاد في هذا الوقت) لبذل شفاعته المقبولة لـدى الهيئة لكي تصدر قرارها بتبرئة الشـيخ عبـد الحكـيم، أو لاستعمال حقه الشرعى في العفو عن الشيخ المتهم وإعفائـه من مشقة انتظار قرار اللجنة.

* * *

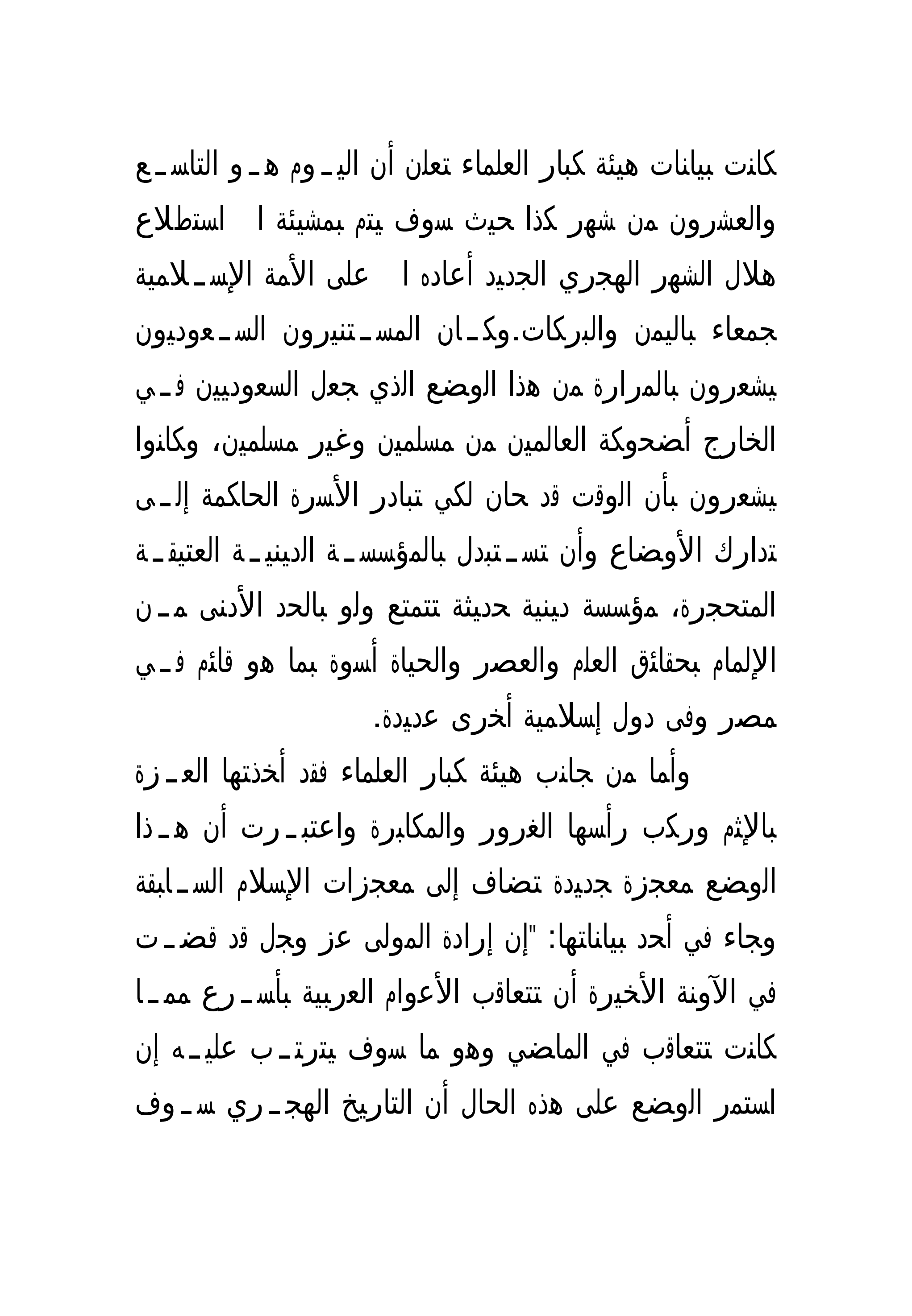
كان للحملة الإعلامية الضخمة، التي شنتها الصحافة المصرية والإسلامية والعالمية دفاعاً عن الشيخ عبد الحكـيم بن ثابت، أثر كبير في تخفيف الحكم الصادر ضده، خاصـة وأن أحد الأمراء السعوديين كان قد عاد حديثاً من الولايـات المتحدة الأمريكية، حيث كان واحداً من الرواد الذين شاركوا في رحلات سفينة الفضاء دسكفرى، ومن ثم فقد كان مقتنعـاً في قرارة نفسه بموقف الشيخ بن ثابت مما دفعه إلى حشـد جهود الشباب السعودي المستنير دفاعاً عن موقـف الشـيخ المستنير، حيث قام بتجميع توقيعاتهم على ملتمس تقـدم بـه بنفسه إلى خادم الحرمين طالباً منه بذل الشـفاعة أو العفـو. وهكذا لم تصدر هيئة كبار العلماء قرارها بإهدار دم الشـيخ عبد الحكيم أو حتى جلده كما كان متوقعـاً.. حيـث اكتفـت بعزله من منصبه وحرمت عليه ولاية أي منصب شـرعي

من بعد، كما قضت عليه بأن يلازم داره لا يبرحها إلا لأمر ضروري وبشرط الحصول على إذن بذلك من الهيئة. وعلى الرغم من أن هذا الحكم كان أخف مما كان متوقعاً كما أسلفنا إلا أنه كان كافياً تماماً لردع كل من تسول له نفسه بتكذيب أو تجريح شهادة أي مواطن يقول بأنه قد شاهد الهلال يوم استطلاعه في هذا الشهر أو في أي شهر، وهكذا فقد ثبتت رؤية هلال ذي الحجة يوم التاسع والعشرين من ذي القعدة لعام ١٤٢٠هـ، كما ثبتت رؤية هلال شهر محرم عام ١٤٢١هـ عقب غروب شمس التاسع والعشرين من ذي الحجة عام ١٤٢٠هـ، واحتفلت هيئة كبار العلماء ببداية العام الهجري الجديد احتفالاً مشهوداً بينما كانت همهمات العجب والاستنكار وأحاسيس الحيرة والبلبلة تتزايد يوماً بعد يوم في كل أنحاء المملكة، وبينما كانت أصداء ما يحدث تتردد عالياً في كل أنحاء العالم تقريباً.



* * *

كادت مشاعر الحيرة والبلبلة تفتك بعقول الكثيرين من الناس في السعودية حينما كانوا يتطلعون إلى السماء فيرون القمر في طريقه إلى أن يصبح بدراً مكتملاً في حين

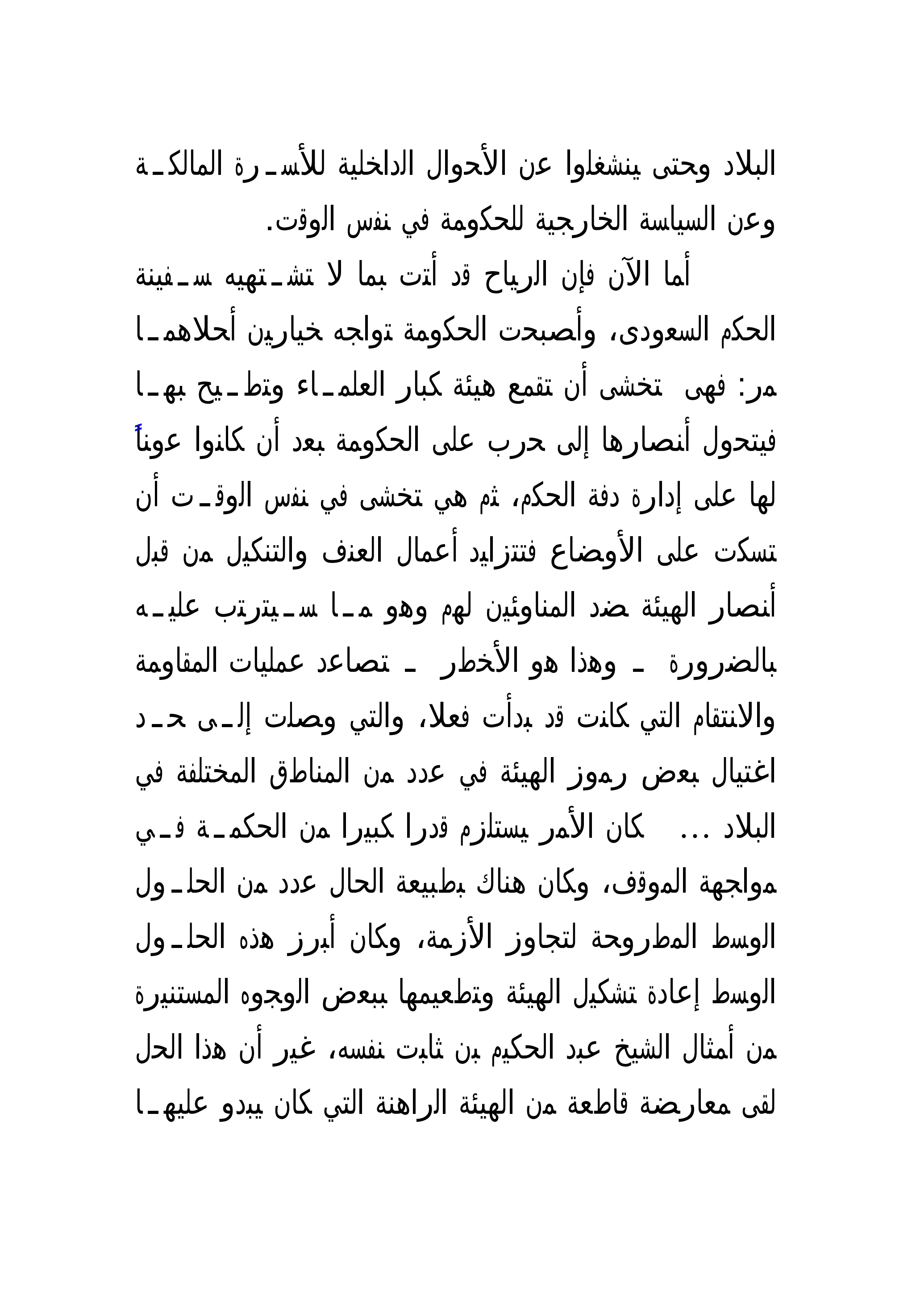


كانت بيانات هيئة كبار العلماء تعلن أن اليـوم هـو التاسـع والعشرون من شهر كذا حيث سوف يتم بمشيئة ا استطلاع هلال الشهر الهجري الجديد أعاده ا على الأمة الإسـلامية جمعاء باليمن والبركات.وكـان المسـتنيرون السـعوديون يشعرون بالمرارة من هذا الوضع الذي جعل السعوديين فـي الخارج أضحوكة العالمين من مسلمين وغير مسلمين، وكانوا يشعرون بأن الوقت قد حان لكي تبادر الأسرة الحاكمة إلـى تدارك الأوضاع وأن تسـتبدل بالمؤسسـة الدينيـة العتيقـة المتحجرة، مؤسسة دينية حديثة تتمتع ولو بالحد الأدنى مـن الإلمام بحقائق العلم والعصر والحياة أسوة بما هو قائم فـي مصر وفى دول إسلامية أخرى عديدة.

وأما من جانب هيئة كبار العلماء فقد أخذتها العـزة بالإثم وركب رأسها الغرور والمكابرة واعتبـرت أن هـذا الوضع معجزة جديدة تضاف إلى معجزات الإسلام السـابقة وجاء في أحد بياناتها: "إن إرادة المولى عز وجل قد قضـت في الآونة الأخيرة أن تتعاقب الأعوام العربية بأسـرع ممـا كانت تتعاقب في الماضي وهو ما سوف يترتـب عليـه إن استمر الوضع على هذه الحال أن التاريخ الهجـري سـوف

يدرك التاريخ الميلادي ويصبح معادلاً له في وقت أقرب مما كان مفترضاً، بل إن التاريخ الهجري سـرعان مـا سـوف يتجاوز التاريخ الميلادي ويسبقه وهذه معجزة كبرى تحققت في عهد خادم الحرمين الشريفين أدامه ا ذخـراً للعروبـة والإسلام!!!وفى نفس الوقت قامت الهيئـة بنشـر عيونهـا وأعوانها في كل مكان يروجون هـذه المعجـزة الجديـدة، ويمنحون الهبات والعطايا لكل من يشـيدون بهـا وينزلـون العقاب والعذاب بكل من تبدو عليهم دلائل عدم التصديق أما من جانب الحكومة فقد كانت تشعر بأنها في مـأزق حقيقـى أوقعها فيه سرعة استجابتها لتوصية الهيئة دون أن تأخذ في حسبانها أنها سوف يترتب عليها كل هذا القدر من المفارقات والمشكلات.

كان كل ما يدور في ذهنها عندما أخذت بها وقررت تعميم نظام البشارة، أنها مناسـبة جديـدة للإغـداق علـى المواطنين بعد أن تحقق لها لأول مرة منـذ حـرب الخلـيج الأولى فائض كبير في الميزانية يستوجب المزيد من الإغداق على أبناء المملكة حتى يلهجوا بالثناء والحمد علـى مليـك



البلاد وحتى ينشغلوا عن الأحوال الداخلية للأسـرة المالكـة وعن السياسة الخارجية للحكومة في نفس الوقت.

أما الآن فإن الرياح قد أتت بما لا تشـتهيه سـفينة الحكم السعودى، وأصبحت الحكومة تواجه خيارين أحلاهمـا مر: فهى تخشى أن تقمع هيئة كبار العلمـاء وتطـيح بهـا فيتحول أنصارها إلى حرب على الحكومة بعد أن كانوا عوناً لها على إدارة دفة الحكم، ثم هي تخشى في نفس الوقـت أن تسكت على الأوضاع فتتزايد أعمال العنف والتنكيل من قبل أنصار الهيئة ضد المناوئين لهم وهو مـا سـيترتب عليـه بالضرورة - وهذا هو الأخطر - تصاعد عمليات المقاومة والانتقام التي كانت قد بدأت فعلا، والتي وصلت إلـى حـد اغتيال بعض رموز الهيئة في عدد من المناطق المختلفة في البلاد ... كان الأمر يستلزم قدرا كبيرا من الحكمـة فـي مواجهة الموقف، وكان هناك بطبيعة الحال عدد من الحلـول الوسط المطروحة لتجاوز الأزمة، وكان أبرز هذه الحلـول الوسط إعادة تشكيل الهيئة وتطعيمها ببعض الوجوه المستنيرة من أمثال الشيخ عبد الحكيم بن ثابت نفسه، غير أن هذا الحل لقى معارضة قاطعة من الهيئة الراهنة التي كان يبدو عليهـا

أنها قد فقدت القدرة على أي تراجع وأنها مصممة علـى أن تتمسك بموقفها وتخوض معركتها إلى النهاية وليكن بعد ذلك ما يكون .

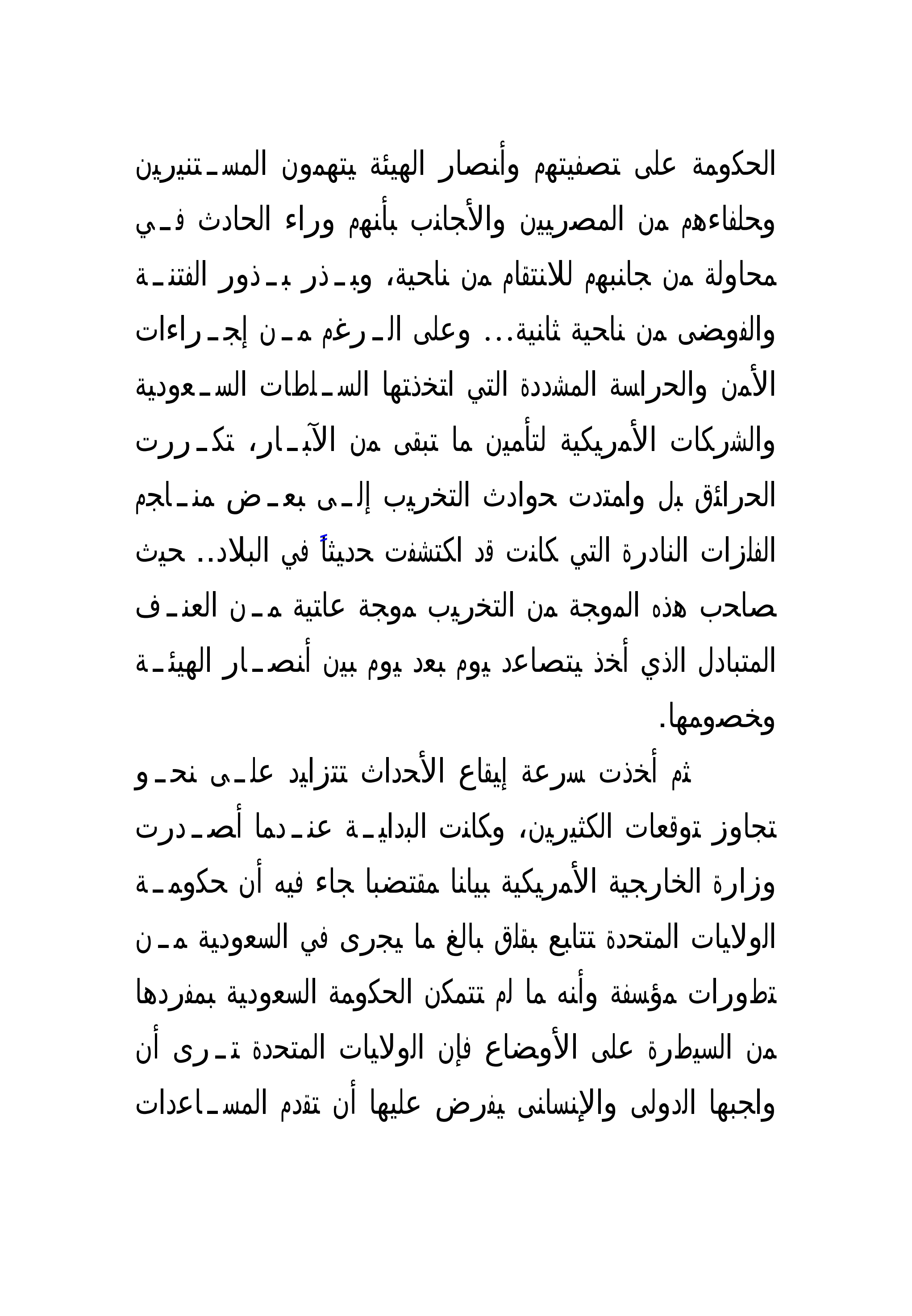
وأما في العالم الخارجى فقد ظلت أخبار تلك الازمة هي الشغل الشاغل لأجهزة الإعلام والرأى العام في مختلف دول العالم، وبوجه خاص في الدول العربية والاسلامية التي تدفقت منها ملايين الرسـائل والبرقيـات تناشـد الحكومـة السعودية وضع حد لهذه الأوضاع التي أساءت إلى الإسـلام من ناحية والتي ترتب عليها تهديد الأمن والأمان في بلاد ا الحرام من ناحية أخرى.

وكانت مصر واحدة من البلاد العربية والإسـلامية التي انعكست عليها أوضاع الأزمة بشكل أكثر خصوصـية، وأصبحت هي المشكلة الأولى التي تؤرق بال الـرأي العـام والحكومة والمعارضة والجماعات الدينية المتطرفة فـي آن واحد، خاصة بعد أن اتهمتهم الهيئة بـأنهم مسـئولون عـن المساهمة في إفساد أفكار الشباب السعودي والوقـوف إلـى جانب المشككين والمرجفين أعداء الوطن والدين.

ومن الغريب أنه على الرغم من أن الـرأي العـام المصري بأكمله تقريباً كان مجمعاً علـى اسـتنكار أعمـال العنف والإيذاء التي كانت يتعرض لها المصريون العـاملون في السعودية، على الرغم من ذلك فقد كانت بعض الجماعات الدينية المتطرفة تقف موقفاً موالياً لهيئة كبار العلماء، وكانت تهلل وتبتهج لأخبار الانتصارات المزعومة التي كان يحققها أنصار الهيئة ضد الزنادقـة والمكـذبين والمشـككين مـن المصرين وغير المصريين... بل لقد وصل الأمر بأنصـار هذه الجماعات إلى مهاجمة دار الهلال والإعتداء على عـدد كبير من محرريها وإضرام النار فـي هـذه الـدار التـي وصفوها بأنها ما تزال تسير على نهج مؤسسها النصـرانى المغرض جورجى زيدان.

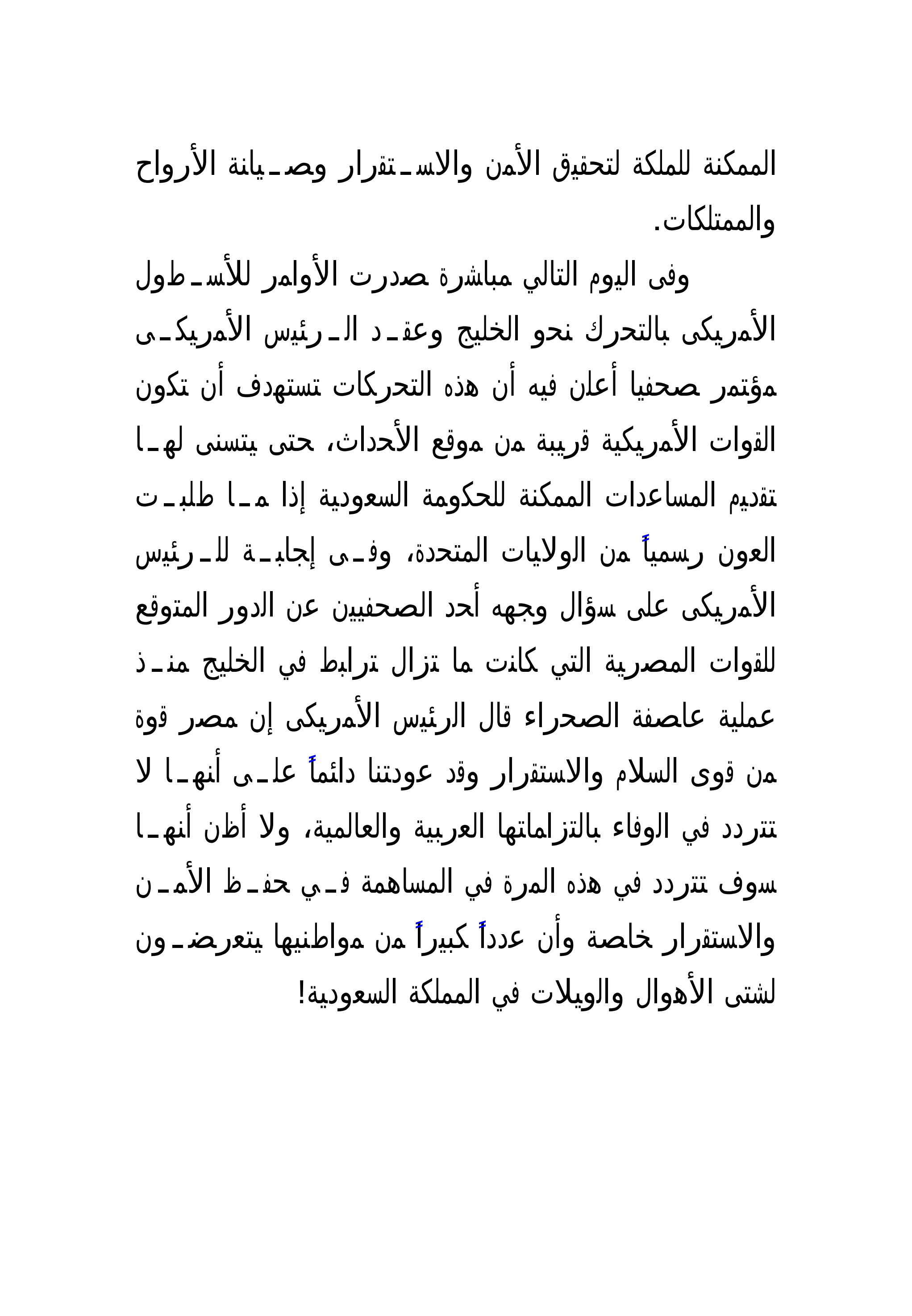
* * *

فى خضم الأحداث المتلاحقة حدث تطور مثير انتقل بالأزمة إلى مستوى جديد ومفزع عندما اشتعلت النيران فجأة في عدد من آبار البترول السعودية وراح كل طـرف يلقـى بالمسئولية على الأطراف الأخرى، فالمسـتنيرون يتهمـون الهيئة بأنها وراء الحادث في محاولة مـن جانبهـا لحمـل



الحكومة على تصفيتهم وأنصار الهيئة يتهمون المستنيرين وحلفاءهم من المصريين والأجانب بأنهم وراء الحادث في محاولة من جانبهم للانتقام من ناحية، وبذر بذور الفتنة والفوضى من ناحية ثانية... وعلى الرغم من إجراءات الأمن والحراسة المشددة التي اتخذتها السلطات السعودية والشركات الأمريكية لتأمين ما تبقى من الآبار، تكررت الحرائق بل وامتدت حوادث التخريب إلى بعض مناجم الفلزات النادرة التي كانت قد اكتشفت حديثاً في البلاد.. حيث صاحب هذه الموجة من التخريب موجة عاتية من العنف المتبادل الذي أخذ يتصاعد يوم بعد يوم بين أنصار الهيئة وخصومها.

ثم أخذت سرعة إيقاع الأحداث تتزايد على نحو تجاوز توقعات الكثيرين، وكانت البداية عندما أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية بيانا مقتضبا جاء فيه أن حكومة الولايات المتحدة تتابع بقلق بالغ ما يجرى في السعودية من تطورات مؤسفة وأنه ما لم تتمكن الحكومة السعودية بمفردها من السيطرة على الأوضاع فإن الولايات المتحدة ترى أن واجبها الدولى والإنسانى يفرض عليها أن تقدم المساعدات



الممكنة للملكة لتحقيق الأمن والاستقرار وصيانة الأرواح والممتلكات.

وفى اليوم التالي مباشرة صدرت الأوامر للأسطول الأمريكى بالتحرك نحو الخليج وعقد الرئيس الأمريكى مؤتمر صحفيا أعلن فيه أن هذه التحركات تستهدف أن تكون القوات الأمريكية قريبة من موقع الأحداث، حتى يتسنى لها تقديم المساعدات الممكنة للحكومة السعودية إذا ما طلبت العون رسمياً من الولايات المتحدة، وفى إجابة للرئيس الأمريكى على سؤال وجهه أحد الصحفيين عن الدور المتوقع للقوات المصرية التي كانت ما تزال ترابط في الخليج منذ عملية عاصفة الصحراء قال الرئيس الأمريكى إن مصر قوة من قوى السلام والاستقرار وقد عودتنا دائماً على أنها لا تتردد في الوفاء بالتزاماتها العربية والعالمية، ولا أظن أنها سوف تتردد في هذه المرة في المساهمة في حفظ الأمن والاستقرار خاصة وأن عدداً كبيراً من مواطنيها يتعرضون لشتى الأهوال والويلات في المملكة السعودية!

* * *

بينما كانت المنطقة تشهد نشاطاً دبلوماسـياً مكثفـاً وهائلاً يدور خلف الكواليس في مختلف العواصـم العربيـة والإسلامية، وبينما كان الأسطول الأمريكى ماضياً في طريقه إلى الخليج، كانت الحكومة السعودية قد لزمت الصمت إزاء المبادرة الأمريكية ولم تتقدم بأى طلب رسمى لتقديم العـون والمساعدة إليها، سواء من الولايات المتحدة أو من أية دولة أخرى، رغم أن الموقف الداخلى كان يتفاقم يوماً بعد يـوم، ففى أعقاب نزول الجيش السعودي إلى الشـوارع للسـيطرة على الأوضاع تشرذم جانب كبير منه، حيث انحازت بعض وحداته إلى الأطراف المتناحرة، في حين بقى البعض الآخر على ولائه للأسرة الحاكمة. كما زاد الموقـف سـوءا قيـام بعض القبائل الحجازية بإعلان التمرد والعصيان ضـد مـن وصفتهم بأنهم طغاة نجد الذين يقودون البلاد إلى الهاوية.

* * *

فى تصعيد جديد للأزمة أعلنت الولايات المتحدة أن استمرار الحكومة السعودية في التزام سياسة الصمت وعـدم توجيهها إلى الآن أي نداء بطلب المساعدة رغم اخفاقها في

السيطرة على الموقف.. كل هـذا لـن يمنـع دول العـالم المتحضر من القيام بمسئولياتها في حفظ الأمن والاسـتقرار في هذه المنطقة الحيوية من العالم، وبناء على هـذا فإنهـا سوف تتقدم بطلب لعقد جلسة عاجلة لمجلس الأمـن تمهيـداً لاستصدار قرار يتيح لقواتها بالمشاركة مع قـوات أخـرى دولية التدخل السريع لإعادة السلام إلى

المنطقة، وأعقبت الولايات المتحدة القـول بالفعـل ونجحت في استصدار القرار رقم ١٣١٣ الذي يخول للقوات الدولية العاملة تحت مظلة الأمم المتحدة حق استخدام كافـة التدابير العسكرية اللازمة لإعادة الأمن والإستقرار إلى ربوع المملكة السعودية ما لم تتمكن حكومتها بمجهوداتها المنفـردة أو بأية مجهودات أخرى عربية أو إسلامية من السيطرة على الموقف خلال فترة غايتها سبعة أيام من تاريخ صدور القرار (يلاحظ أن هذه الفترة كانت هي الفتـرة اللازمـة لوصـول قوات مشاة البحرية الأمريكية إلى شواطئ السعودية).

وهكذا وصلت الأزمة إلى ذروتها، وبـدا واضـحاً للجميع أن الولايات المتحدة وحلفاءها الغربيين على الأقل قد عقدوا العزم على التدخل العسكرى بمجرد وصـول طلائـع

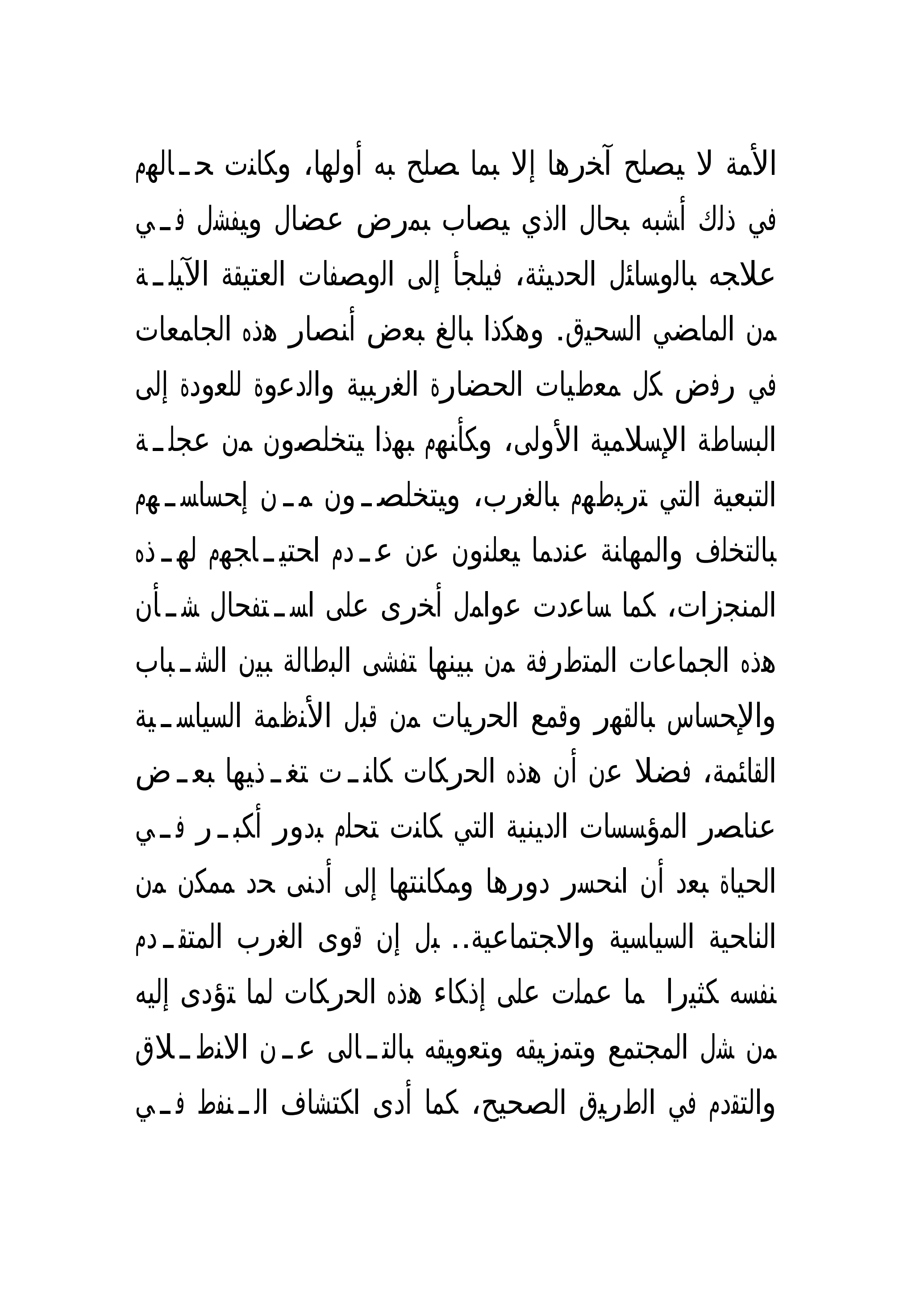
الأسطول الأمريكى إلى المنطقة، ودون انتظار حتى لاكتمال الحشد العسكرى، وبدأ الجميع يسـتعيدون ذكريـات حـرب الخليج الأولى التي لم تكن قد غابت تماماً عن الأذهان بعد.

حرب الخليج الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م[3]

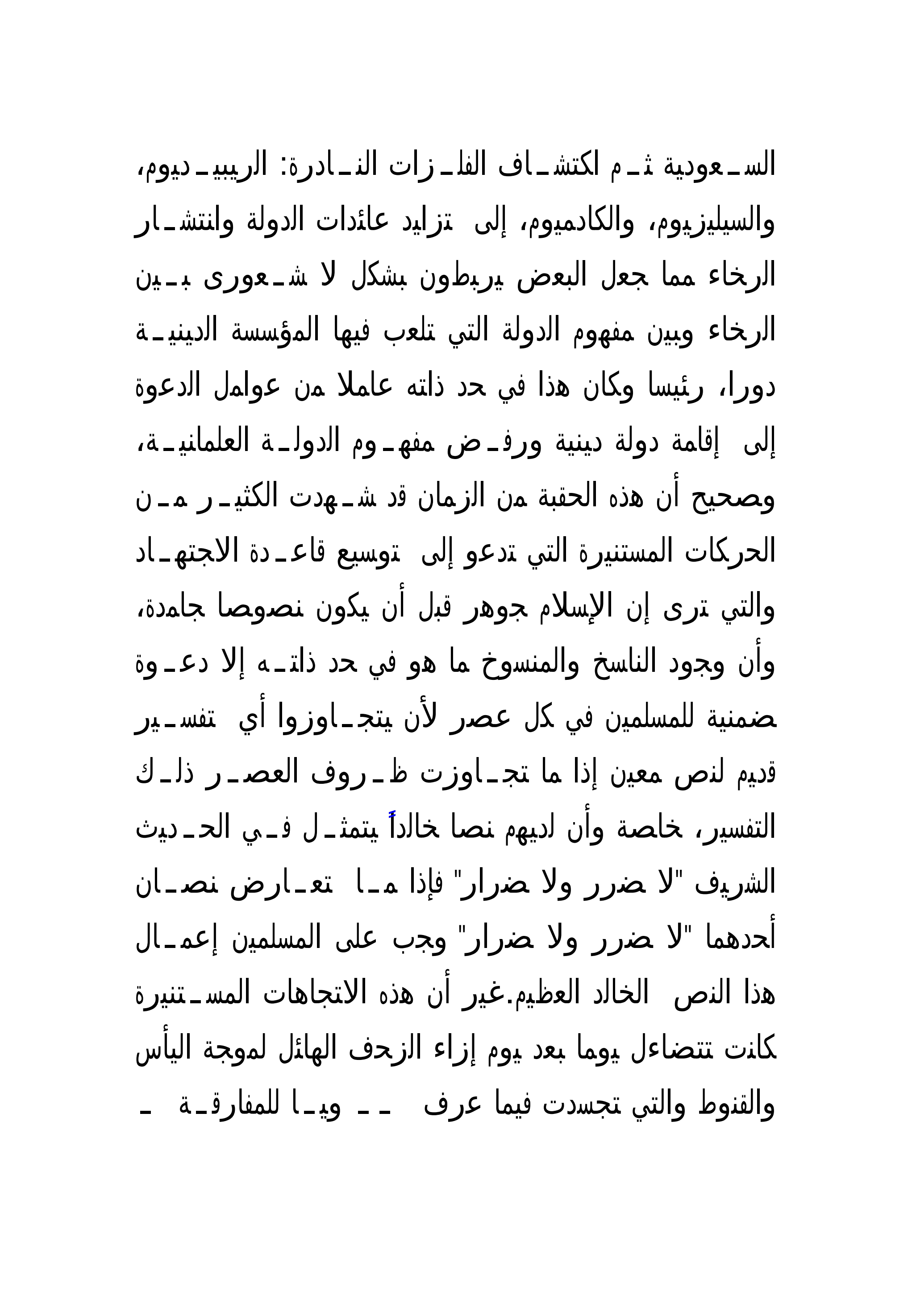
شهدت الأعوام الأخيرة من القـرن الرابـع عشـر الهجري والأعوام الأولى من القرن الخامس عشر انتكاسات متتالية للحركات الثورية في العـالم العربـى والإسـلامى، وتزايدت هوة الفارق الحضارى بين العالم الغربـى والعـالم العربى مما خلق لدى الكثيرين من العرب والمسلمين إحساساً بالخيبة والمرارة واليأس من اللحاق بالعالم المتقـدم، ناهيـك عن تجاوزه، وقد كان هذا الإحساس واحدا من الأسباب التي أدت إلى تصاعد حركات التطرف الدينى والتـي صـورها أصحابها في ذلك الوقت بأنها صحوة إسلامية، وإن كانت في حقيقتها نوعا من الإمعان في السبات والغيبوبـة والانفصـام عن حقائق العصر، فقد توقف أصـحابها عنـد النصـوص الجامدة التي تضمنتها كتب الفقه القديم متصـورين أن هـذه

---

(٣) سبق التنويه بأن تسميتها بالأولى هو فقط بالنسبة إلى ما تلاها لكنها بداهة لم تكن أولى الحروب في المنطقة



الأمة لا يصلح آخرها إلا بما صلح به أولها، وكانت حـالهم في ذلك أشبه بحال الذي يصاب بمرض عضال ويفشل فـي علاجه بالوسائل الحديثة، فيلجأ إلى الوصفات العتيقة الآيلـة من الماضي السحيق. وهكذا بالغ بعض أنصار هذه الجامعات في رفض كل معطيات الحضارة الغربية والدعوة للعودة إلى البساطة الإسلامية الأولى، وكأنهم بهذا يتخلصون من عجلـة التبعية التي تربطهم بالغرب، ويتخلصـون مـن إحساسـهم بالتخلف والمهانة عندما يعلنون عن عـدم احتيـاجهم لهـذه المنجزات، كما ساعدت عوامل أخرى على اسـتفحال شـأن هذه الجماعات المتطرفة من بينها تفشى البطالة بين الشـباب والإحساس بالقهر وقمع الحريات من قبل الأنظمة السياسـية القائمة، فضلا عن أن هذه الحركات كانـت تغـذيها بعـض عناصر المؤسسات الدينية التي كانت تحلم بدور أكبـر فـي الحياة بعد أن انحسر دورها ومكانتها إلى أدنى حد ممكن من الناحية السياسية والاجتماعية.. بل إن قوى الغرب المتقـدم نفسه كثيرا ما عملت على إذكاء هذه الحركات لما تؤدى إليه من شل المجتمع وتمزيقه وتعويقه بالتـالى عـن الانطـلاق والتقدم في الطريق الصحيح، كما أدى اكتشاف الـنفط فـي


السعودية ثم اكتشاف الفلزات النادرة: الريبيديوم، والسيليزيوم، والكادميوم، إلى تزايد عائدات الدولة وانتشار الرخاء مما جعل البعض يربطون بشكل لا شعوري بين الرخاء وبين مفهوم الدولة التي تلعب فيها المؤسسة الدينية دورا، رئيسا وكان هذا في حد ذاته عاملا من عوامل الدعوة إلى إقامة دولة دينية ورفض مفهوم الدولة العلمانية، وصحيح أن هذه الحقبة من الزمان قد شهدت الكثير من الحركات المستنيرة التي تدعو إلى توسيع قاعدة الاجتهاد والتي ترى إن الإسلام جوهر قبل أن يكون نصوصا جامدة، وأن وجود الناسخ والمنسوخ ما هو في حد ذاته إلا دعوة ضمنية للمسلمين في كل عصر لأن يتجاوزوا أي تفسير قديم لنص معين إذا ما تجاوزت ظروف العصر ذلك التفسير، خاصة وأن لديهم نصا خالداً يتمثل في الحديث الشريف "لا ضرر ولا ضرار" فإذا ما تعارض نصان أحدهما "لا ضرر ولا ضرار" وجب على المسلمين إعمال هذا النص الخالد العظيم.غير أن هذه الاتجاهات المستنيرة كانت تتضاءل يوما بعد يوم إزاء الزحف الهائل لموجة اليأس والقنوط والتي تجسدت فيما عرف ـ ـ ويا للمفارقة ـ

بالصحوة والتي عبرت عنها الجماعـات المتطرفـة علـى اختلاف مشاربها ومستويات تطرفها.كما شهدت تلك الحقبـة كذلك في بعض الدول العربية اتجاهـات أخـرى علمانيـة ثورية، غير أنها كانت في حقيقة أمرها لا تقل في مسـتوى ذاتيتها ولا عقلانيتها عن حركات التطرف الدينى ذاتها، وكان أبرز الممثلين لهذه الاتجاهات الثوريـة الخادعـة والكاذبـة الرئيس العراقى صدام حسين الذي كان يتسم بقدر هائل مـن الحماقة والغرور والجهل، شأنه في ذلك شأن الغالبية الغالبـة من حكام العرب والمسلمين في ذلك الوقـت، سـواء كـانوا ملوكا أم أمراء أم مشايخ أم رؤساء جمهوريات، وقد صـور له جهله وغروره أنه إذ ابتلع الإمارة الصغيرة المجاورة لـه والمسماه إذ ذاك بالكويت فسوف يسيطر على جزء كبير من احتياطى النفط في العالم، فإذا ما أضيف هـذا الجـزء إلـى احتياطى العراق فسوف يكون في وضع يسمح له مسـتقبلا ببناء دولة قادرة على إملاء شروطها ولو في حدود معينـة على العالم الغربى المتقدم.

كان الرئيس العراقى من الجهل بحيث تصور أنه – وهو الذي لم ينل إلا حظاً ضئيلا من الثقافة والتعليم – سوف

يخدع الدول المتقدمة بحساباته الحمقاء، وأنها ســوف تظــل مذعنة للأمر الواقع تنتظر ذلك اليوم الذي سيقوم فيه بتهديــد مصالحها تهديداً مباشراً وإرغامها على الاستجابة لمطالــب الدول العربية والاسلامية (أو بــالأحرى مطالبــه هــو)، وحينئذ فسوف يسجل اسمه في سجل الخالــدين الأفــذاذ... وهكذا أقدم صدام حسين على مغامرته الطائشة فوضع نفسه وشعبه في مأزق حقيقى... بل إنه في حقيقة الأمر وضــع دولا أخرى كانت تربطها به علاقات طيبة في نفس المــأزق ومن بين هذه الدول ما كان يسمى في ذلك الوقت بجمهورية مصر العربية التي وجدت نفسها مطالبة بأن تتجرع واحــدا من كأسين أهونهما واحلاهما سم زعاف: فهى إما أن تقــف إلى جانبه فتجد نفسها واقفة في صف منطق القوة والــبطش وابتلاع أراضى الجيران بالقوة المسلحة وهــى مــا كانــت ترفضه دائما.. فضلا عن أن وقوفها إلــى جانبــه ســوف يعرضها إلى التجويع والحصار الاقتصــادى بــل وربمــا التدمير العسكرى، وإما أن تقف ضده فتجد نفسها فــي ســلة واحدة مع اعداء العروبة والإسلام... ولم يكن الوضع يسمح بأية مناورة أو حلول وسط، لأن المناورة معناهــا الوقــوف

بشكل غير مباشر إلى جانبه وإتاحة الوقت المناسب الـلازم لكي يهضم فريسته.. وهو ما لم تكن تقبل به القوى الكبـرى وعلى رأسها الولايات المتحدة بـأى حال مـن الأحـوال... وهكذا آثرت مصر أن تتجرع من الكـأس الثانيـة.. وأن تشترك في الحرب التي قادتها الولايات المتحدة لتحرير النفط الكويتى من قبضة صدام حسين، وقبل ذلك وأهم مـن ذلـك تدمير البنية الأساسية للعراق حتـى لا يفكـر فـي تكـرار المغامرة مرة أخرى، وقد أمعنت الولايات المتحدة في تحقيق الهدف الثانى على نحو لم تلجأ إليه إسرائيل ذاتهـا عنـدما كانت لها السيادة الجوية على سـماء مصـر فـي حـرب ١٩٦٧.. وهكذا انتهت الحرب بتدمير شامل للعـراق وهـو الأمر الذي ترتب عليه اشتغال الثورات المتعاقبة في العراق، غير أن صدام حسين تمكن بما تبقى من فلول جيشـه مـن سحق هذه الثورات واحدة بعد الأخرى إلى أن تمكن الشيعة عام ١٥١٨هـ - ١٩٩٨م، من الاسـتيلاء علـى جنـوب العراق وإعلان قيام الجمهورية العراقية الإسلامية، ورغم أن إيران قد رفضت الاعتراف بهذه الجمهورية الجديدة إلا أنـه كانت هناك دلائل قوية على أنها هي التـي أمـدت الثـوار

الشيعة بالسلاح بل وبالرجال من خلال كتائب بأكملها مـن الحرس الثورى ،مستهدفة بـذلك تقويـة مركزهـا الجديـد باعتبارها القوة الإقليمية الأولى بلا منازع، وقـد انتهـزت الولايات المتحدة هذه الحماقة الإيرانية كما انتهزت من قبـل الحماقة الصدامية، وتحت دعوى المحافظة على وحدة العراق وسلامة أراضيه، قامت بمساعدة حلفائها الغربيين والعـرب بتدمير إيران تدميراً تاماً وتحرير جنوب العراق مما أسـمته بالاحتلال الإيرانى، وهكذا استتب الأمـر تمامـاً للولايـات المتحدة والعالم الغربى الذي أصبح الآن آمنا على مصـالحه النفطية، إذ اصبحت دول المنطقة: إما دولا نفطية بلا قـوات مسلحة، وإما دولا ذات قوات مسلحة ولكنها بلا نفط، غير أن الأمان الأكبر كان راجعا إلى أن هذه الدول وتلك كانت دولا بلا منهج عقلى أو علمى أو عملى في النظر إلى الأمور.

٣ - حرب الهلال[4]

---

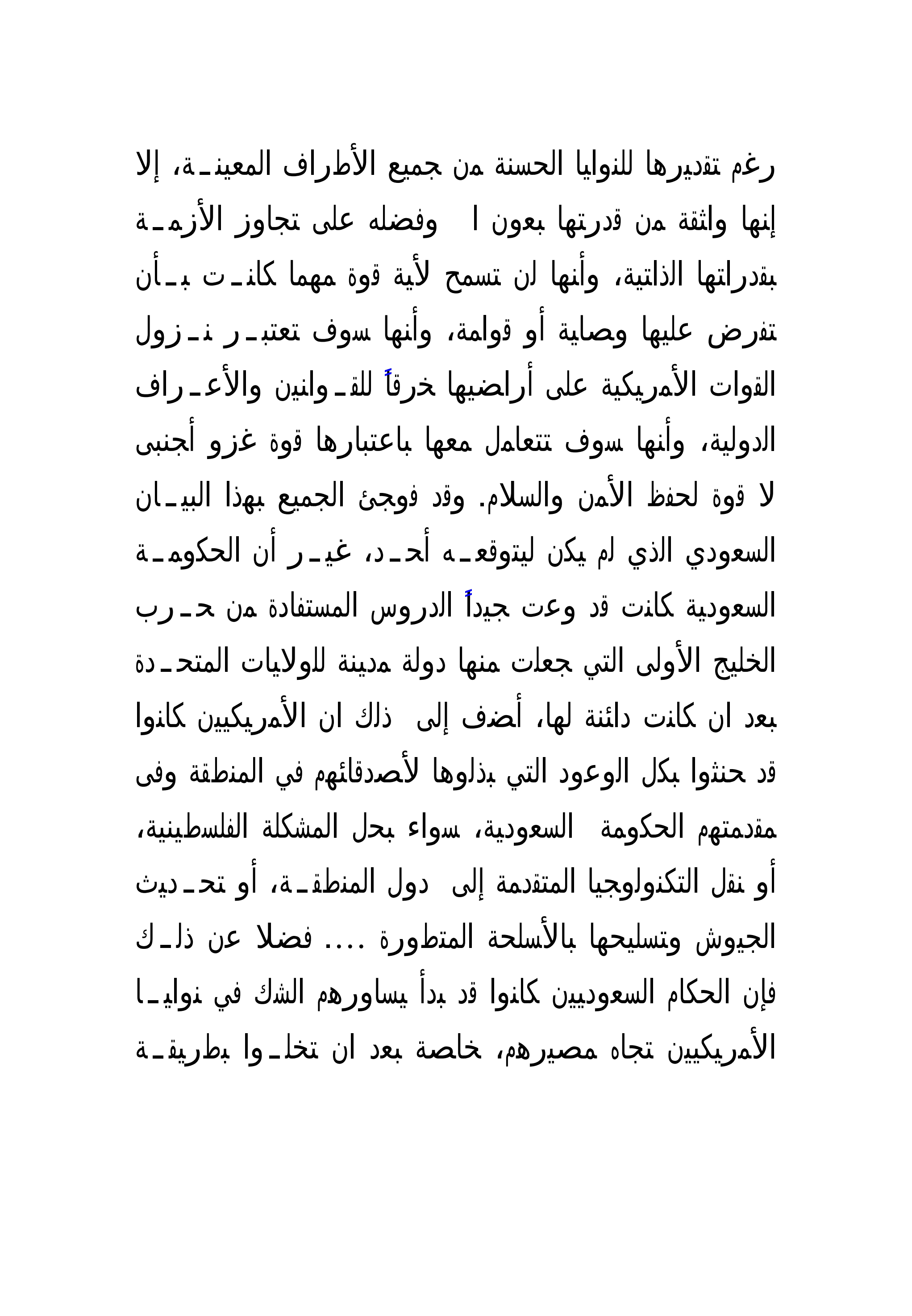
(٤) حرب الهلال أو حرب الخليج الثانية... وإن كان البعض يطلقون عليها اسم حرب الخليج الثالثة كما سلفت الإشارة، كذلك فإنها يطلق عليها حرب الخليج الرابعة من قبل بعض المـؤرخين باعتبـار ان

أحدث البيان الأمريكى وقرار مجلـس الأمـن ردود فعل شعبية ورسمية غاضـبة فـي سـائر الـدول العربيـة والإسلامية، خاصة عندما تحـدث البيـان الأمريكـى عـن "مسئوليات الدول المتحضرة"، في إشارة واضـحة إلـى أن دول المنطقة هي دول غير متحضرة.... وقد كاننـت هـذه العبارة قمة من قمم الإهانة والإذلال التي طالما لقيت منهـا دول المنطقة صوراً مخففة ومغلفـة فـي تعبيـرات أكثـر تهذيباً...أما الآن فإن الوجه القبيح قد أسفر عن نفسه تمامـاً وأصبح عازماً على ان يخوض معركة الحياة والموت ضـد هذه الشعوب "المتخلفة" التي تضرم النيران في شريان حياته "البترول" لأسباب عبثية من وجهة نظره..... ولم يعـد فـي هذه المرة مهتما بأن يغطى تدخله لحماية مصـالحه بسـتار مكتمل من الشرعية.

****

أعلنت المملكة العربية في أول رد فعل رسمى لها أن ما يحدث في أراضيها هو شأن من شئونها الداخلية، وأنهـا

الاولى هي الحرب العراقية الايرانية والثانية هي حرب الحلفاء ضد العراق، والثالثة هي حرب الحلفاء والعراق ضد إيران.



رغم تقديرها للنوايا الحسنة من جميع الأطراف المعينـة، إلا إنها واثقة من قدرتها بعون ا وفضله على تجاوز الأزمـة بقدراتها الذاتية، وأنها لن تسمح لأية قوة مهما كانـت بـأن تفرض عليها وصاية أو قوامة، وأنها سوف تعتبـر نـزول القوات الأمريكية على أراضيها خرقاً للقـوانين والأعـراف الدولية، وأنها سوف تتعامل معها باعتبارها قوة غزو أجنبى لا قوة لحفظ الأمن والسلام. وقد فوجئ الجميع بهذا البيـان السعودي الذي لم يكن ليتوقعـه أحـد، غيـر أن الحكومـة السعودية كانت قد وعت جيداً الدروس المستفادة من حـرب الخليج الأولى التي جعلت منها دولة مدينة للولايات المتحـدة بعد ان كانت دائنة لها، أضف إلى ذلك ان الأمريكيين كانوا قد حنثوا بكل الوعود التي بذلوها لأصدقائهم في المنطقة وفى مقدمتهم الحكومة السعودية، سواء بحل المشكلة الفلسطينية، أو نقل التكنولوجيا المتقدمة إلى دول المنطقـة، أو تحـديث الجيوش وتسليحها بالأسلحة المتطورة .... فضلا عن ذلـك فإن الحكام السعوديين كانوا قد بدأ يساورهم الشك في نوايـا الأمريكيين تجاه مصيرهم، خاصة بعد ان تخلـوا بطريقـة

مشينة عن أسرة الصباح في أعقاب أول انقـلاب دسـتورى وقع في الكويت بعد ستة أعوام من حرب الخليج الاولى.

***

كان للبيان السعودي أثر كبير في جمع الصف داخل وخارج المملكة، فقد أعلنت القبائل الحجازية إنهاء عصـيانها ووقوفها صفاً واحدا مع أبناء نجد الكـرام ضـد الطـامعين والغزاة، وعادت معظم وحدات الجيش التي كانت قد انضمت إلى الأطراف المتناحرة، عادت لتلتحم بقواعدها الأصـلية، وأعلنت سائر الدول العربية وقوفها إلى جانب المملكة.

***

فى عملية مفاجئة أذهلت العالم كله قامـت القـوات الأمريكية المنقولة باحتلال جميع آبار النفط لا في السـعودية وحدها وإنما في سائر دول المنطقة بلا استثناء، خارقة بذلك قرار مجلس الأمن الذي قامت هي باستصداره!! وفى عملية أكثر جرأة ومفاجأة قامت إسرائيل دون سابق إنذار أو تحذير بتحطيم القوات المصرية والسورية في نفس الوقت، وأعادت احتلال سيناء التي كانت قد انسحبت منها في أعقاب معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية، كما أعادت احتلال الجـولان

التي كانت قد انسحبت منها وفقا لمعاهدة السـلام السـورية الإسرائيلية في أعقاب حرب الخليج الأولى.وفى سلسلة مـن العمليات المباغتة قامت جيوش الحلفاء الغربيين بتحطيم مـا تبقى من الجيوش العربية في المنطقة، عقابا لهذه الدول على تأييدها للموقف السعودي الـرافض للأمـن والاسـتقرار!! وخلال أسابيع معدودة بدا كأن الأمر قد استتب تماماً للغرب غير أن الحقيقة كانت على النقيض تمامـاً، فقـد انهزمـت الجيوش والحكومات العربية واستيقظ العقـل العربـى مـن غفوته .... واتحد العالم العربى والإسلامى من أقصاه إلـى أقصاه حول منهج جديد للعمل.

***

تلاشت الخلافات الفقهية حول الموسـيقى والبنـوك والرؤية.. وأصبح واضحا للجميع لماذا انهزم المهزوم ولماذا انتصر المنتصر.... وكانت هذه هي بداية المقاومة وبدايـة الإنطلاق.

رمضان المبارك ١٤١١هـ

مارس ١٩٩١م.

الشحاذ

مسرحية شعرية نثرية من فصل واحد

المشهد الأول:

[تفاصيل المنظر نستقيها من كلام الـراوي – حـين يرفع الستار نرى الشحاذ جالسا تحت أحد أعمـدة النـور – ذراعه يحيطها الجبس وقد شدت إلى عنقه بعصابة – سـاقاه يحيطهما الجبس كذلك – الراوي يـؤدى دوره مـن خـارج خشبة المسرح].

الراوى: قصتنا الليلة عن شحاذ.

وأذكركم أن الشحاذ

اسم مشتق من فعل

شحذ

ش .. ح .. ذ

يعنى سن

[يأتى بحركة مقلدا من يشحذ مدية]

.. ولأننا نعنى ما نعنيهْ

فلقد لزم التنويهْ

المنظر يا سيادة درب شعبى مغمور

هذى أعمدة النور

أكثرها مطفأة

إلا من بقعة ضوء شاحبة.

تكشف ما خبأه المقدور

هذا شحاذ يشحذ همته في طلب الرزق

الشحاذ: يا كريم .. يا رزاق.

الراوى: الشارع قفر

إلا من صوت الشحاذ: يسلى وحدته

ويواسيه

يعلو بين الحين وبين الحين .

الشحاذ: يا مؤمنين

يا محسنين

حسنة قليلة

تمنع بلاوى

[يسمع صوت أقدام .. آتية من بعيد]..

الراوى: [يشير إلى مصدر الصوت] رجل عادى

يعمل في عمل ليلى

أنهى نوبة منتصف الليل

[يدخل إلى خشبة المسرح.. رجل يرتـدى ملابـس عليها معطف رث.. مضطرب الخطوات.. يبدو عليه أنه قد ضل طريقه].

الراوى: [مشيرا إلى الرجل]

صاحبنا هذا في كل مساء

يسلك نفس الدرب المعروف المألوف القسمات

لكن في هذى الليلة بالذات

جال بخاطره أن يختصر السكة..

بالسير خلال الحارات

ها هو ذا مضطرب الخطوات

تسلمه العطفات إلى المنعطفات.

والمنعطفات إلى العطفات

الشحاذ: [مشيرا للرجل]

من هنا يا مؤمن... الطريق

من هنا، حسنة قليلة تفتح لك الطريق إلى نعيم

ا ... حسنة يا مؤمن

الرجل (يسير نحو الشحاذ.. إلى أن يصل إليـه ثـم يبتعد عنه)

ربنا يرزقك يا عم

(يمضى في طريقه)

الشحاذ: يا محسن

يا مؤمن

يا مواطن

للمرة الأخيرة ..

ستندم وا العظيم

يا نذل

[الرجل يختفى عن بصر الشحاذ]

الراوى: انتبهوا .. فالآن

سنرى ما لم يك يخطر في الحسبان

[الشحاذ يجذب يده المشدودة إلى عنقـه.. ويصـفق هاتفاً بأعلى صوته]

يا مجاهد

[يندفع إلى خشبة المسرح رجل ذو لحية كثيفة .. في إحدى يديه خنجر وفى الأخرى سوط.. يشير له الشـحاذ .. فيندفع مهرولاً في الاتجاه الذي سار فيه عابر الطريق.. ثـم يعود ممسكا به من تلابيبه].

مجاهد: مخاطباً عابر الطريق

– يا قاسى القلب.. يا عديم الرحمة والإحساس تمر بهذا الرجل المسكين ولا تتصدق عليه! (يشير إلى الشحاذ).

الرجل: وا أنا موظف غلبان ومسكين .. وبائس.

مجاهد: (ينظر إلى ملابس الرجل الرثة): بـائس .. إلى حد ما ... ربما ... ولكن ليس مثل هذا الرجل.... أمـا رأيت ذراعه الموضوعة في الجبس؟ [الشحاذ يعيـد إدخـال ذراعه في العصابة التي تشدها إلى رقبته] أما رأيـت سـاقه العاجزة؟ يا للرجل المسكين! .. أما سمعت نداءه الذي يمزق القلب (مخاطباً الشحاذ) .. أسمعه إياه مرة أخرى.

الشحاذ: يا مؤمن... حسنة قليلة تمنع بلاوى.

مجاهد: متظاهراً بالتأثر – كفى ... كفى ... مزقت نياط قلبى (يخاطب الرجل).

تسمع هذا الكلام الموجع ولا تتصدق عليه!

(يضع الخنجر على رقبة الرجل)

هيا تصدق عليه يا مؤمن.. بأى شئ مما يجود بـه

ا .

الرجل: وا   العظيم لو كان معى شئ ما كنت منعته .. أنا موظف غلبان ومفلس.

مجاهد: كفاك شحا وتقتيراً.. وتصدق بأى شئ..

أى شئ .. هيا كن من الذين يؤثرون على أنفسـهم ولو كان بهم خ.... خ...

الراوى: ها هو ذا يجهد أن يذكر قول ا   تعالى.

[ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة].

مجاهد: ... ولو كان بهم خ... خ... خ.... لو كان بهم ... ما كان بهم

هيا.. يا رجل ... هيا فإن الصدقة تطهر المال.

الرجل: [يقبل يديه هو ... باطناً وظاهراً] – الحمد على الفقر... إن راتبى يتطهر في بداية الشهر ... يطهـره البقال والجزار وبائع الخضار..يطهرونه تماماً تماماً.. وبعد ذلك اشترى منهم على الحساب حتى بداية الشهر التالى.

مجاهد: لا تخدعنى بهذا الكلام.. إنى أنذرك للمـرة الأخيرة .. أحسن إلى هذا الرجل المسـكين.. وإلا فـإن ا سوف يغضب عليك ويدخلك النار.

[يضغط بالخنجر على رقبة الرجل فيصرخ متأوهاً].

الرجل: أتوسل إليك.. في عرضك.. ليس معي شئ.

مجاهد: حسن .. أرنى إذن ... ماذا في جيوبك.

[يبدأ في تفتيشه.. ويساعده الرجل على قلب جيبه إلى الخارج..تسقط سلسلة من المفـاتيح ومنـديل متسـخ علـى الأرض .. وبعض الأوراق].

الرجل: ها أنت رأيت بنفسك .. ولا مليم .. يرزقهـا الكريم.

مجاهد: ألا تخبئ بعض النقود في مواضع حساسـة من جسمك.

الرجل: لو كان معى أي مليم لما احتجت إلى إخفائه في مواضع حساسة أو غير حساسة، كنـت صـرفته فـوراً واشتريت شيئاً للبيت والأولاد ... [تسود فترة من الصمت].

مجاهد: [بعد لحظات من الصمت] : اسمع يا هذا ..

هل معك ساعة؟

الرجل: لماذا؟

الشحاذ: صدقة عينية يا جاهل.

الرجل: آه .. فهمت .. لقد رهنتها إلى البقـال منـذ شهرين .. واستولى عليها الملعون في مقابل عشرة جنيهات مع أنها تساوى خمسين جنيهاً بأسعار هذه الأيام.

مجاهد: ليست معك ساعة إذن؟

الرجل: كلا.

مجاهد: معك دبلة زواج؟

الرجل: كلا

مجاهد: لكنك منذ قليل تكلمت عن البيت والأولاد..

منى هذا انك متزوج.

الرجل: نعم

مجاهد: إذن معك دبلة زواج.

الرجل: كلا .. لقد بعتها منذ عامين واستبدلت بهـا دبلة من الصفيح.

مجاهد: هات الدبلة الصفيح.

الرجل: لقد تآكلت بفعل الصدأ بعد شهرين فقط مـن استعمالها هذه أصابعى لكي يصـدقه (يمـد إليـه أصـابعه الخالية).

مجاهد: (مخاطباً الجمهور).

يا لليوم النحس !

هذا ثالث جربوع مفلس.

فى يوم واحد

(يستدير إلى الرجل)

-اسمع يا هذا .. إخلع معطفك.

-حرام عليك .. سيقتلنى البرد.

مجاهد: (يضربه بالسوط) : اخلع وكن كما نصحتك منذ قليل من الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كـان بهـم ..! ... !...! .. لو كان بهم ما كان .. هيا اخلع

[الرجل يخلع معطفه].

مجاهد: إنه معطف رث.. لكن ربمـا وجـدنا مـن يشتريه ولو بجنيهين.

الرجل: إنه يساوى عشرة جنيهـات بأسـعار هـذه الأيام... لقد اشتريته من الوكالة منذ ثلاثـة أعـوام بسـبعة جنيهات ونصف.

مجاهد: [يحمل المعطف ويعرضه على الجمهـور]: من يشترى هذا المعطف الذي سوف يخصص ثمنه لأغراض الخير.. من يشترى بجنيهين معطفاً يساوى عشرة جنيهات؟

الراوى مردداً : بجنيهين اثنين.

بجنيهين.

بجنيهين.

مجاهد: لا أحد .. إذن من يشترى بجنيه واحد؟ جنيه واحد فقط ندفعه صدقة إلى هذا الشحاذ المسكين.. جنيه واحد فقط تطهر به روح هذا الجربوع [يشير إلى الرجل].

الراوى: مرددا: من أجل الرحمة والخير.

بجنيه لا غير.

بجنيه لا غير.

مجاهد: أيضاً .. لا أحد..

إذن من يشترى بعشرة قروش...

عشرة قروش نفتدى بها هذا المنكـود مـن عذاب الدنيا والآخرة.

الراوى: مردداً: مدوا أيديكم للكف الممدودة.

بقروش معدودة

بقروش معدودة

مجاهد: لا أحد .. لا أحد .. لا أحد يريد أن يشترى هذه الخرقة البالية!

[يلقى بالمعطف إلى الرجل الذي يتلقفه في لهفة].

الرجل: الحمد .. كم أنت كريم يا رب! [يرتـدى معطفه] .. والآن لعله ثبت لسيادتكم بالدليل القـاطع أنـى لا املك شيئاً له قيمة... بهذه المناسـبة هـل يمكـن لـى أن انصرف؟

مجاهد: (ساخراً) : تنصرف؟. هكذا بكل بسـاطة؟. دخلت هذه الأرض الحرام في هذه الساعة الحـرام دون أن تدفع الصدقة الواجبة.. ثم تقول: أنصرف!. هكذا تنصـرف دون مؤاخذة أو محاكمة؟ هل تظن أن الدنيا ليس فيها عـدل [يمسك به من رقبته ويجرجره].

الراوى: في جانب هذا الدرب.

درجات حجرية. تفضى لزقاق.

ها هو ذا يستخدمها كمنصة عدل.

[مجاهد يصعد الدرجات الحجرية .. ثم يجلس واضعاً قدميه على كتفى الرجل..يلحق بهما الشحاذ الذي نلاحظ أنـه يتحرك برشاقة لا تتناسب مع كمية الجبس المحيطة بساقيه].

مجاهد: والآن تبدأ المحاكمة .. [إلى الشحاذ] .. أتـلُ التهم المنسوبة للجربوع.

الشحاذ: (يتلو)

في ساعة نحس من ساعات النحس الأبدية

اجتاز الجربوع الماثل .. درب الجوع إلـى ميدان الجزية.

مجاهد: صحح ... درب الجوع إلى ميدان الصدقات النوارنية.

الشحاذ: في ساعة نحس من ساعات النحس الأبدية

اجتاز الجربوع الماثل درب الجوع.

إلى ميدان الصدقات النورانية.

قابله الملكان : ملاك الرحمة (يشـير إلـى نفسـه). وملاك العدل (يشير إلى مجاهد .. الذي يخرج جناحين مـن جراب مثبت في وسطه.. ويثبتهما على كتفيـه .. الشـحاذ ينتزع الجناحين ويثبتهما على كتفيه هـو .. ويشـير إلـى الجراب. .. فيخرج مجاهد ميزاناً يرفعه بيده رمزاً للعدل)

الشحاذ: مواصلاً : قابله الملكـان: مـلاك الرحمـة وملاك العدل

فتح ملاك الرحمة باب الرحمة للجربوعْ

لكن الجربوع تولى

أوشك أن يهرب لولا

لولا أن ملاك العدل تجلى

أمسك بالملعون وعامله بالحسنى.

لكن ما أغنى عنه النصح وما أغنى

من بعد النصح الاستجداء

فى ساعة نحس واحدة سوداء

ارتكب جرائم شتى شنعاء

طمرته الآثام. وغطته الآثام

وعلى هذا وبما أن الجربوع ضليع في الإجرام

وبما أن الجرم الأول في شرع عدالتنا

يستوجب حكم الإعدام

وبما أن الثانى يستوجب حكم الإعدام

والثالث يستوجب حكم الإعدام أو الإعدام، لهذا

نترك لكمو أن تختاروا بحصافتكم وعدالتكم ما يتناسب وظروف المجرم من أحكام.

مجاهد: عظيم.. انتهت المحاكمة.. والآن الحكم بعد المداولة.

[يتهامس لحظات مع الشحاذ .. ثم ينطق بالحكم]

مجاهد: بناء على الالتمـاس الـذي قدمـه مـلاك الرحمة.. والذى طلب فيه استخدام أقصى حدود الرأفة.. فقد قررنا تخفيف العقوبة عن الجريمة الأولى لتكون الجلد بـدلاً من الإعدام .. وتخفيف العقوبة عن الجريمة الثانيـة لتكـون السلخ بدلا من الإعدام .. أمـا الجريمـة الثالثـة فقـد رأت المحكمة أن تظل عقوبتها كما هي .. وهى الإعدام.. على أن يبدأ التنفيذ فوراً ابتداء من تنفيذ العقوبة الأخف ثم الأشد.

الرجل: منهاراً: مظلوم وا العظيم.. أنـا موظـف غلبان وصاحب عيال حرام علـيكم.. تعـدمونى وتيتمـون أولادى.. حرام عليكم.. حرام.. حرام!

[مجاهد والشحاذ يتبادلان الهمس .. ويقهقهان.. ثـم يتبادلان الهمس ويقهقهان مرة أخرى .. بينما يستمر الرجـل في الاستغاثة].

مجاهد: إسمع يا هذا .. هناك أمل آخر لـك.. لقـد عرض علينا ملاك الرحمة التماسـاً جديـداً لانقـاذك مـن الموت.. وقد قبلت المحكمة هذا الالتماس.

مجاهد: والآن سوف يشـرح لـك مـلاك الرحمـة تفاصيل ما جاء في التماسه.

الشحاذ: اسمع يا هذا .. أنا أرى أنك معذور إلى حد ما.

الرجل: مظلوم وا .. مظلوم يا مولاى.

الشحاذ: كلا لست مظلوما .. أنـت معـذور فقـط. مذنب معذور.

الرجل: أمرك يا مولاى.

الشحاذ: إن ما يشفع لك إلى حد ما أنك مفلس.

الرجل: مفلس جداً ... أنا على الحديدة يا مولاى.

الشحاذ: وجربان!

الرجل: أمرك يا مولاى.

الشحاذ: ولا تملك ما تتصدق به.

الرجل: سموكم تأكدتم من هذا

الشحاذ: ولكن الكلمة الطيبة صدقه.. أليس كذلك؟

الراوى: صاحبنا يتحير من كلمات ملاك الرحمـة لا يدرك ما مرماه. ومـاذا يعنيـه لكـن قـال لنفسـه: --- "سأجاريه".

الرجل: فعلاً... الكلمة الطيبة صدقة يا مولاى.

مجاهد: إذن حكمت عليك المحكمة، بـأن تتصـدق علينا بكلمة طيبة وسوف تمنح ثلاث فرص، في كـل منهـا توجه إلينا عبارة معينة، فإذا مـا وجـدنا إحـداها طيبـة، اعتبرناها صدقة وعفونا عنك، أمـا إذا اسـتنفدت الفـرص الثلاث دون توجيه كلمة طيبة حق عليك العقاب.

الرجل: أمرك يا مولاى.

مجاهد: والآن .. الفرصة الأولى.

الرجل: بعد تفكير : ربنا يزيدكم من نعيمه.

الشحاذ: غاضباً: تريده سبحانه أن يزيدنى من هـذا الجبس في قدمى وفى ذراعى؟

مجاهد: غاضباً: أم تريده أن يزيـدنى مـن مقابلـة الجرابيع من أمثالك؟

[ينهالان عليه ركلاً.. وضربا].

مجاهد: والآن.. الفرصة الثانية.

الرجل: بعد تفكير أطول: أطال ا أعماركم.

مجاهد: غاضباً: تريد لنا طول التعب والشـقاء يـا منكود؟ أما سمعت قول الشاعر "تعب كلها الحياة"!

الشحاذ: يركله : أما إنك غبى حقاً.. لا تريد أن تفلت بجلدك.

مجاهد: والآن الفرصة الثالثة والأخيرة.

الراوى: صاحبنا مازال يفكر في الأمر.

يخشى أن تفلت فرصته هذى فيضيع العمر.

ها هو ذا مسكين ..... حين يهم بفتح فمـه يسـمع حشرجة في الصدر.

فيعود ويقفله، ثم يعود ليسمع حشرجة في الصدر.

مجاهد: تكلم .. هيا .. تصدق علينا بكلمة طيبة.

الرجل: أخشى أن أتكلم يا مولاى .. فيخوننى لسانى في هذه المرة .. كما خاننى في المرتين السابقتين.

الشحاذ: لكن لابد أن تتكلم.. أنا لن أتنازل عن حقـى في الصدقة.

مجاهد: والشحاذ معاً: تكلم .. تكلم .. تكلم..

الرجل: يا مولاى قولا لى ما تريدان.. وأنا أقوله .. أنا رجل جاهل، عـرفانى ما هـي الكلمـة الطيبـة وأنـا أرددها..إنى أترك لكما الأمر ..إنكمـا أدرى منـى بـالكلم الطيب [مجاهد والشحاذ يتهامسان].

مجاهد: عظيم.. عظيم.. قبلنا منك هذا التفـويض.. والآن قل أنا خدام مطيع.

الجر مسروراً جدا – أنا خدام مطيع.

مجاهد: قل أنا أفعل أي شئ يرضيكما.

الرجل: أنا أفعل أي شئ يرضيكما.

مجاهد: والآن..وعد الحر دين عليه ... وباعتبـارك حراً فإن ما وعدتنا دين عليك.

الرجل: أنا لست حراً.. أنا خدام مطيع.

مجاهد: غاضباً: بل أنت حر .. أنت تكلمت بمحض اختيارك .. ونحن لم نغصب عليك (يدنو منـه بـالخنجر).. أنت حر .. مفهوم.

الرجل: مفهوم.

مجاهد: إذن تنفذ وعدك.

الرجل: أنفّـ ـذ.

الراوى: ينسدل الآن ستار.

لكن لا تنصرفوا ...لحظات ثم نعود

إلى نفس الدرب المغمور المقبور الخالى مـن كـل الأنوار

إلا من بقعة ضوء شاحبة.

تكشف ما هو باق في جعبته من أسرار.

المشهد الثانى

الراوى: مشهدنا الثانى .. هو مشهدنا الأول

هذا شحاذ يشحذ همته في طلب الرزق.

الشحاذ: (الذى نتبين أنه هو الآن عابر الطريق فـي المشهد السابق) – يا كريم .. يا رزاق.

الراوى: الشارع قفر

إلا من صوت الشحاذ يسلى وحدته ويواسيه

ويذكره .. ماذا كان عليه .. وماذا أصبح فيه

الرجل(الشحاذ حاليا) – منك العوض وعليك العوض

عوض علينا يا رب.

الراوى: صاحبنا هذا منحوس

حتى لما أصبح شحاذاً منذ تولى منصبه الحالى

مرت ساعات

لم يطرق فيها الشارع إنسى أو جنى

ها هو ذا .. يتململ في وحدته.. فـي هـذا الليـل الشتوى.

الشحاذ: يا مجاهد .. [يندفع إلى المسرح رجـل ذو لحية .. نتبين فيه الشحاذ السـابق.. بعـد أن أزال السـيف ووضع اللحية وتمنطق بالخنجر والسوط].

مجاهد: في أي اتجاه ذهب الملعون؟

الشحاذ: أي ملعون؟

مجاهد: الملعون الذي هرب من أداء الصدقة.

الشحاذ: لم يهرب أحد .. فقط أنا مللت من الوحـدة فناديت عليك .. كى نتسلى معاً بعض الوقت ... نتآنس.

مجاهد: (غاضباً): أنا لست مسؤولاً عن المؤانسـة.. أنا الآن مجاهد .. مسؤول عن الإمسـاك بالـذين حـاولوا الإفلات.. وأنت مسؤول عن الشحاذ' .. مفهوم؟ أنا أجلـس في الدفء وأنت تجلس في البرد.. مفهوم؟ لكل واحـد دوره .. مفهوم؟

الشحاذ: يا مجاهد .. منذ عدة ساعات لم يعبر هـذا الطريق أحد.. وأنا أجلس وحدى حتى مللت

مجاهد: أنت نحس! ما ذنبى أنـا؟ هـل تعلـم أنـى اصطدتك بعد نصف ساعة من جلوسى؟ قبلها مر عشرة من هنا غيرك.. ودفعوا الإتاوة وهم صاغرون .. خمسين جنيها

كاملة في نصف ساعة فقط، أما مجاهد الأول فقد حقق رقماً قياسياً .. خمسمائة جنيه.

الشحاذ: منبهراً: أنت كنت تجلس قبل منتصف الليل. أما أنا فأجلس بعد منتصف الليل.. حيث الناس قليلون.

مجاهد: ومن قال لك أن تأتى بعد منتصف الليل أيها النحس!

الشحاذ: لولاى ولولا إفلاسى.. كنت أنت ظللت فـي مكانك إلى الآن.

مجاهد: نحس بعض الناس من رزق بعض الناس.. أنا أعترف .. لقد كان نحسك من حسن طالعى.. وها أنا الآن في منصب مجاهد .. وأنت في منصب شـحاذ.. عليـك أن تتقبل دورك ولا تزعجنى مرة أخرى بالبلاغ الكاذب... هذا هو الإتفاق.

الشحاذ: يعنى .. إذا لم يمر أحد.. أبقـى هنـا إلـى الأبد؟

مجاهد: هذا هو الإتفاق.. أنت تسهر في الخـارج.. وأنا أسهر في الداخل.. ومجاهد الأول يغط فـي النـوم لأن دوره في المسرحية قد انتهى .. أنت إذا مر بك فاعل خيـر

ودفع الصدقة أخذتها منه .. فإذا أبى تستنجد بى .. وهنا يبدأ دورى فأرغمه على الأداء ورزقى ورزقك على ا .

الشحاذ: فإن كان مفلساً.

مجاهد: تبدأ مسرحية المحاكمة .. أنت ملاك الرحمة .. وأنا ملاك العدل وفى هذه الحالة سوف يتحقق خلاصـك من البرد والوحدة.. هذه هي الفرصة الوحيـدة للخـلاص.. مفهوم؟ [ينصرف].

الشحاذ: خلاصنا عليك يا رب.

إبعث إلينا بواحد مفلس يا رب.

جربان وجربوع

الراوى: صاحبنا يتذكر مازال ما كان عليـه الحـال وما آل إليه الحال.

صاحبنا يحلم ما زال.

أن تجتاز الدرب ضحية

تنقذه من طعنات البرد الشتوية

صاحبنا يحلم أن يتدرج في السـلك ويرقـى.. فـي الترقية الأولى يمسك بالخنجر والسوط في الترقيـة الأعلـى يخلد للنوم .. يغط .. يغط [نسمع سقسة عصفور].

الراوي: صاحبنا يسمع سقسقة العصفور

يتذكره فجأة

أن نهاية هذا الليل النور

لكنى لا أدرى هل هذا يضنيه

أم هذا يرضيه؟

إنى لا أعلم إلا ماضيه، وحاضره.

هذا الغارق فيه

أما آتيه، فإنى أخشى

أن الغارق في ليل التيه

يستمرئ ليل التيه

إنى لا أملك إلا أن انتهز الفرصة..

كى أنذره ... وأحذره.. وأمنيه

[يتجه إلى الشحاذ].

لا تستسلم.

أصمد لحظات للديجور.

بعد قليل سوف يجئ النور

بعد قليل سوف يجئ النور

ستار.

نشرت بمجلة إبداع

عدد يناير ١٩٩٠

المبارزة

مسرحية من فصل واحد

المنظر:(محطة أتوبيس.. شخص واحد واقف على المحطة عادى المظهر وإن كان يميل قليلاً إلى الرثاثة وسوف نرمز له بالحرف (أ) .. إلى جانبه سلة صغيرة مغطاة بمفرش .. ينظر إلى السلة ثم إلى ساعته ثم يتطلع إلى بعيد ليرى إن كان الأتوبيس قادماً.. يكرر هذه الحركات مرة بعد أخرى عندما يدخل الشخص (ب) الذي تلوح عليه الحيوية والرشاقة، يدور دورة كاملة حول الشخص (أ) ثم يتوقف فجأة في مواجهته.

(ب) : لو سمحت .. هل هذه محطة أتوبيس ٨٥؟

(أ) : نعم

(الشخص (ب) يدور دورة أخرى حول (أ) .

(ب) : هل تنتظر الأتوبيس؟

(أ) : نعم

(يدور دورة أخرى).

(ب) : هل تنتظر منذ وقت طويل ؟.

(أ) : (ينظر إلى ساعته ثم لى السلة ثم إلى سـاعته مرة أخرى).

(أ) : منذ حوالى ساعة.

((ب) يعود إلى الدوران).

(ب) : هل تعتقد أن هناك أملا في مجئ الأتوبيس؟

(أ) : بالطبع ما يزال الوقت مبكراً جداً... بالنسـبة للدورة الأخيرة (ينظر إلى ساعته ثم إلى السلة ثم إلى الساعة مرة أخرى ويواصل) – نعم مازال الوقت مبكراً جداً.

(ب) : عندما يأتى الأتوبيس هل ستصعد إليه؟

(أ) : (يبتسم في استغراب) – بالطبع!

(ب) : يعود إلى الدوران عدة مرات ثم يتوقف فجأة في مواجهة (أ) ويخاطبه بشكل باتر كمن يصدر أمراً.

(ب) : أسمع!. ما اسمك؟

(أ) : مرتبكاً – محمود

(ب) : محمود ماذا؟

(أ) : يستعيد توازنه ويجيب فـي فتـور – محمـود حامد.

(ب) : حامد ماذا؟

(أ) : "الذى سنعرفه منـذ الآن باسـمه محمـود" – متجهماً جداً

- محمود حامد فقط يكفى هذا.

(ب) : (متلاطفا) – اسمع يا أخ محمود

هل يضايقك أن نتجاذب أطـراف الحـديث كأصدقاء إلى أن يأتى الأتوبيس.

محمود: (وقد انفرجت أسارير وجهه قليلاً)

بالعكس .. هذا يسرنى جداً.

(ب) : كلا .. أنت متضايق.

محمود: بالعكس أنا غير متضايق.

(ب) : كلا .. أنت يبدو عليك الضيق.

محمود: متجهماً – قلت لك إننى غير متضايق... أنت بهذا تضايقنى فعلاً.

(ب) : إذن أنت غير متضايق (محمود يهز رأسـه موافقاً).

(ب) : ماذا في هذه السلة؟ (يقترب منها كما لو كان يهم بتفتيشها).

محمود: يبعدها بحركة غريزية – لا شئ .. مجـرد قطع من الجبن وكمية من البيض والزبد.. إنهم يبيعونها فـي هذه الضاحية أرخص كثيراً من داخل المدينـة .. ثـم إنهـا طازجة أكثر.. ومع هذا فقد كنت أفضـل أن أقضـى هـذا المساء في المنزل لولا أن زوجتى أصرت على أن أجئ إلى هذه الضاحية البعيدة لأشترى لها الطلبات.

(ب) : أنت متزوج إذن ؟

محمود: نعم.

(ب): اسمع يا أخ محمود. هل تثق في زوجتك؟

: أعنى هل تعتقد أنها مخلصة لك؟

محمود: (يعود إلى التجهم الشديد) – وما شأنك أنت؟

(ب): قلت لى إنك لن تتضايق.

محمود: لم أكن أتصور أن الكلام سيصل إلى هـذا الحد.

(ب): ولكنك قلت إنك ستكون مسروراً إذا تجاذبنـا الحديث كأصدقاء.. نعم كأصدقاء.

محمود: يا سيد يا محترم.. أنت تتجاوز حدودك!

(ب): إذن أنت متضايق؟

محمود: يمكنك أن تغير الأمر كذلك.

(ب): في تصميم شديد – ولكنـك قلـت إنـك لـن تتضايق!

: معنى هذا أنك كنت تخدعنى.

محمود: يتجاهل حديثه ويتطلع إلى بعيـد ليـرى إن كان الأتوبيس قادماً... ينظر إلى ساعته .. ثم إلى سلته .. ثم يعود ينظر إلى الساعة).

(ب): مواصلاً - ... اسع يا محمود أنـا لا أحـب الخداع.

محمود: في اقتضاب – هذا لا يعنيني.

(ب): ولكنه يعنيني أنا .. قلت لى إنه سوف يسـرك أن نتكلم كأصدقاء.. وما دمنا قد عجزنـا عـن أن نتعامـل كأصدقاء.. إذن فلنتعامل كأعداء.

محمود: وقد بدأ يداخله الخوف – ماذا تعنى؟

(ب): (في غضب) – أعنى ما أقول.. لابد لنـا أن نتعامل كأعداء.. ولابد لنا أن نعبر عن مشـاعر الكراهيـة والعداوة التي يكنها كل منا للآخر... بطريقة إيجابية (يسـتل

فجأة من بين طيات ثيابه سيفاً ويبدأ فـي التـراقص حـول محمود الذي ينكمش متراجعاً للخلف).

محمود: كلا يا عزيزي.. أنت تضخم المسألة .. لسنا أعداء على الإطلاق.. أنا إنسان مسالم.. لم يحدث أن عاديت أحداً على الإطلاق.. كلهم يشهدون لـي بـذلك.. رؤسـائي وزملائى.. أنا متعاون جداً ومملوء بالمودة لكل الناس (مـا يزال يتراقص ويصوب السيف نحو محمود الـذي يتراجـع مفزوعاً).

محمود: يواصل الكلام.. أنا لا أعاديك إطلاقاً.. كيف أعاديك أو تعادينى وكلانا لم يعرف الآخر بعد ؟!.

(ب): (يتوقف عن التراقص لكنه ما يـزال شـاهراً سيفه) – عندما يوجد اثنان في مكان واحد فلا يمكن أن تكون مشاعرهما محايدة، فهما إما صديقان أو عدوان، ومادمنا قـد عجزنا عن أن نكون صديقين فنحن عدوان.. هـذا مؤكـد، مؤكد.. لا تقل غير هذا، لا تقل لا يعنينى أمرك فالمشـاعر المحايدة توجد فقط بين شخصين لم ير أحدهما الآخـر ولـم ينظر أحدهما في عين الآخر (يمد رأسه محدقاً فـي عينـى محمود الذي يتراجع مذعوراً).

محمود: كلا يا عزيزي.. لقد حـدث سـوء تفـاهم يسير.. هذا كل ما في الأمر.. والحقيقة أننى لا أشعر بـأى نوع من العداء نحوك. وما دمت لا أشعر بالعداء نحـوك.. إذن نحن صديقان، أليس كذلك (يبتسم ابتسامة مصـطنعة).. أليس كذلك؟

(ب): لكنك قلت منذ لحظة واحدة إنك متضايق منى.

محمود: سوء تفاهم يسير.. لقد أخطأت التعبيـر... كنت أقصد فقط أن الحديث في أموري الشخصية .. قـد لا يهم حضرتك..

(ب): (وهو يغمد سيفه) إذن أنت لا تعادينى؟

محمود: (فرحا بنجاته) – إطلاااقاً.

(ب) : إذن فنحن صديقان؟

محمود (بشكل مبالغ فيه) – طبعـاً.. طبعـاً نحـن صديقان حميمان.

وبهذه المناسبة لم نتشرف باسم حضرتك.

(ب): أنا البرج.. هل سمعت بالبرج؟

محمود: بشكل مبالغ- طبعاً.. طبعاً برج الجزيرة.

(ب) : (يضع يده من جديد على موضع مقبض السيف).

هل تسخر منى؟

محمود: أقصد برج بيزأ.. لا ... برج إيفل.. نعم برج إيفل!.

(ب): (يستل سيفه من جديد).

محمود: لا تغضب ... أنا أمزح معك.

(ب): (يغمد سيفه مرة أخرى) لا بأس بالمزاح بين الأصدقاء، قبلت مزاحك فالمزاح دليل على عمق المودة، ولكن البرج هو اسم الشهرة.. المهندس البرج.. فعندما نزلت إلى دنيا الأعمال والمقاولات ارتفعت أسهمي، بسرعة رهيبة حتى أصبحت في سنوات قليلة من أصحاب الملايين.. وهكذا أطلقوا على لقب المهندس البرج.

محمود: تستاهل كل خير وا العظيم!

(ب): (الذى سنعرفه منذ الآن بالبرج) – شكراً يا محمود.

محمود: لكن لو سمحت يا سمو البرج.. أخبرنى ما الذي أتى بك .. لا مؤاخذة إلى محطة أتوبيس؟ لا أظن أن

معاليكم قد جئت لتشترى مثلى بعض الزبـد والبـيض مـن القرية القريبة من الضاحية!

البرج: كلا ... ها ... ها.... كلا ... يا محمود ... أنا كنت فقط أمارس هواية المشى. أمشى يومياً عدة أميـال، وهذه إحدى هواياتى الكثيرة... أنا أهوى المبـارزة أيضـاً (يستل سيفه ويظل يتراقص به مصوباً طعنات وهميـة إلـى محمود الذي يتراجع خائفاً مرتبكاً).. أهوى الملاكمة (يصوب عدداً من اللكمات السريعة إلى محمـود الـذي لا يملـك إلا المزيد من التراجع).. وأهوى الشطرنج. وعندما كنت طالبـاً حصلت على بطولة الجامعة في الشطرنج.. كانوا يلقبـوننى بالعبقرى الذي لا يهزم.

محمود: طبعاً.. طبعاً.. إن أمارات العبقرية تطل من عينيك!.

البرج: وكنت أكتب الشعر .. وما أزال.

محمود: يا لرقة إحساسك وكمال أوصافك!

يتخذ هيئة المنشد!

فإنك برج ما عداه خرائب!

البرج: مبتسماً متهللاً – أنت خفيف الظل يا محمـود (يربت على كتفه).

محمود: منحنياً – شكراً يا مولاى.

البرج: زدنى يا محمود.. امتدحنى .. إننى أعلـم أن كلامك نفاق، لكن نفسى تستريح إليه.. زدنى يا محمود مـن هذا النفاق الجميل.. زدنى.

محمود: ليس نفاقاً يا مولاى.. إنها الحقيقة الساطعة.. إنها الكلمات التي تخرج من القلب إلى اللسان حاملة معها كل آيات الحب والعرفان لكي تنال شيئاً مـن رضـاء مـولاى البردى الشاهق.. الذي لا يطاوله برج في الأرض. ولا فـي السماء (يشتد به الحماس) ولا برج الشمس ولا برج الجوزاء ولا برج..

البرج: (متأففا) ... كفى كفى يا محمود... لا أريـد هذا الكلام، هذه خطب إنشائية مملة.

محمود: إذن فليأذن لى مولاى أن أمتدحـه بقصـيدة شعرية.

البرج: كفى ... كفى.. لقد سئمت، لم أعد أريد مديحاً ولا تخاطبنى بقولك مولاى فأنا لست مـولاك.. أرجـوك لا

تخرجنى عن طورى مرة أخرى.. هل نسيت أن حديثى معك منذ البداية هو حديث صديق لصديق وليس حدث سـيد مـع عبد صفيق؟

محمود: (محبطاً يبتلع الإهانة) لا تغضـب يـا أبـا الأبراج، أنا أيضاً أهوى التمثيل كنت أمثل معك دور العبـد مع السيد.. نتسلى إلى أن يأتى الأتوبيس. أخبرنـى يـا أبـا الأبراج.. ما هي آخر مشروعاتك المعمارية؟

البرج: لم تعد لى مشروعات معمارية.. توقفت تماماً منذ فترة. منذ أن هرب مساعدى وأفشـى أسـرارى إلـى الشركات المنافسة.. فهبطت أسهمى وتوقفت أعمالى.. آه من ذلك الوغد الدنئ! يتركنى وأنا في مسيس الحاجة إليه، وأنـا الذي صنعته من العدم.. أنا الذي انتشـلته مـن الحضـيض وصعدت به إلى الأدوار العليا.. كان مجرد مهندس حـديث التخرج عندما وقعت عليه عينانى الفاحصتان فأدركت علـى الفور ما يتسم به من ذكاء وطمـوح، رأيـت فيـه صـورة مصغرة من عبقريتى، فأحببته واحتضنته وصعدت بـه، لـم أكن أكبره من حيث السن إلا بسنوات معدودة، أما من حيث المستوى فقد كنت أعلوه طبعاً بدرجات لا تحصى.

محمود: طبعاً ... طبعاً.

البرج: مواصلاً – لم يخطر ببالى قط أنه سوف يغدر بى، كنت أثق فيه كما أثق بنفسى تماماً.. لم تكن ثقة عاطفية، نعم أؤكد لك أنها لم تكن مجرد مسألة عاطفية... فأنا – وإن كنت شاعراً لست رومانسياً، أنا في المسائل العمليـة رجـل عملى.. وقد كانت ثقتى به محسوبة مثل نقلـة الشـطرنج.. كنت أعرف أن وجوده إلى جانبى يجعله يكسب كثيراً جـداً وأنا أكسب أكثر، أفهم هذا الكلام – هو يكسب كثيراً جداً وأنا أكسب أكثر .. فإذا تركنى .. أفهم هذا يا محمود – أنا أخسر كثيراً جداً لكنه يخسر أكثر.. كنت أعرف هذا جيـداً وكنـت أعرف نه يعرف هذا أيضاً .. كان يعرف أن وجوده مرتبط بوجودى ومع هذا تركنى....

محمود: لعله تقاضى مبلغاً كبيـراً مـن الشـركات المنافسة ثمناً لخيانته هذه .

البرج: بالعكس.. لم يتقاض شيئاً علـى الإطـلاق.. كانت المسألة هدما بلا بناء.

هدمنى دون أن يبنى نفسه... أنا خسرت كثيراً جـداً وهو لم يربح شيئاً.. ما زالت الشركة الصغيرة التي كونهـا

من ورائى شركة خاسرة، إيراداتها لا تغطى مصـروفاتها، كنت أعرف أن هذه هي النتيجة الطبيعية للخيانة. والغريـب أنه هو كان يعرف هذا أيضاً ومع هذا تركنى.

محمود: شئ غريب فعلاً ومحيراً حقـاً.. مـا هـو تفسيرك إذن لهذه الخيانة؟

البرج: (عاقداً ذراعية حول ظهـره متمشـياً حـول محمود) – إنها مسألة نفسية يا صديقى.. البعض لا يحبـون الوقوف كثيراً إلى جوار العمالقة حتى لا يبـدوا أقزامـاً .. والأذكياء لا يحبون مصاحبة من هم أكثر منهم ذكاء وعبقرية حتى لا يشعروا بجوارهم أنهم حمقـى وبلهـاء.. الـبعض يفضلون الاستقلال الموهوم حتى لو ضحوا في سبيله بالمال والروح، بل وبالشرف أيضاً.. أعتقد أن هذا هو التفسير.. ثم هناك مسألة أخرى .. هي خطيبتى التي هربت معه....

محمود: ااااه .. هذا هو السبب إذن! لقد هرب مـن أجلها.

البرج: (منتفضاً ويهز محمود كتفيه) – كنت تعـرف السبب وتخفيه عنى؟.. أنت تعرف .. أنت تعرف!.

محمود: أنا لا أعرف شيئاً على الإطلاق.. من أيـن لى أن أعرف؟.

البرج: لكنك قلت أنه هرب من أجلها.

محمود: مرتبكاً – أعقل يا برج... من أين لـى أن أعرف؟

أنا فقط أقول ربما هرب من أجلها .. ربما...

البرج: لا ... ليس هذا صحيحاً... وإلا فإذا كان هو قد هرب من أجلها .. لماذا هربت هى؟

محمود: من أجله هو.

البرج: منتفضاً – إذن فأنت تعرف! .. أنت تعرف.. كلهم كانوا يعرفون.. العمـال والموظفـون والملاحظـون والمحاسبون. كلهم كانوا يعرفون القصة مـن أولهـا ولـم يخبرنى واحد بشئ.. كلهم .. كلهم.. الأوغاد! كانوا يعرفون ومع ذلك كانوا كلهم من مبدأ "أنا مالى يا عم" (يلوح بذراعه مصوراً موقفهم)، وأنت أيضاً .. أنت تعرف!

محمود: كيف أعرف يا سيادة البرج وأنا لم أسـمع هذه الحكاية إلا منذ لحظات؟.. أنا فقط أستنتج أن هـذا هـو السبب. إنها مسألة عادية وتحدث كثيراً كثيراً جداً ما يهـرب

الرجل من النعيم من أجل امرأة.. وتهرب امرأة مـن أجـل رجل.. ملعون أبوه وأبوها.. ولا يهمك يا سيادة البرج فـلا يقع إلا الشاطر.

البرج: نعم.. لا يقع إلا الشاطر.. وقد كانت وقعتـى أليمة جداً يا محمود. أنا لست آسفاً عليهـا ولا حزينـاً يـا محمود. صدقنى أنا لست آسفا عليها هى، ولكنى آسف على نفسى.. حزين لأننى شعرت لأول مرة بأننى مغفل كبيـر.. شعرت لأول مرة بأننى ضعيف في الحساب.. أنا الذي كنت أحسب كل حساباتى وأرقامى من الذاكرة وبدون آلة حاسـبة فشلت في حساب حسبة صغيرة.. حسبة المهندس الصـغير الطموح والفتاة الجميلة وهما يقفان إلى جوار البرج العملاق المخيف المسيطر .. أنا الذي كنت أعرف بمجـرد النظـر خصائص كل تربة وأنـواع المعـادن الخبيثـة فيهـا دون اختبارات أو أجهزة، فشلت في أن أعرف معادن الناس الذين يقفون إلى جانبى.. ترى يا محمود من أي معدن أنت؟. من أي معدن أنت!.. (يحدق فيه فاحصاً).

محمود: (محاولاً تخفيف الجو المتوتر) – أنـا مـن الحديد المطاوع!. رؤسائى في العمل يقولـون لـى شـغلك حديد.. لكنك مطيع ولهذا فأنا حديد مطاوع.

البرج: ها ها .. أنت خفيف الظل...

محمود: شكراً.

البرج: سوف أعينك يوما ما بشركتى كاتباً أو شيالاً أو بواباً. .. أو أي عمل يتناسب مع مواهبك المحدودة.

محمود: (يبتلع الإهانة ويتظاهر بالسرور) – شكراً يا فندم بارك ا فيك.

البرج: وسوف أمنحك بصفة استثنائية أجـراً كبيـراً يغنيك عن السفر إلى الضواحى البعيدة لشراء هذه الأشياء.

محمود: شكراً يا فندم زادك ا من نعيمه...

البرج: اسمع يا محمود بمناسبة هذه السـلة.. لمـاذا تعتقد أن زوجتك قد أرسلتك إلى هـذه الضـاحية البعيـدة.. البعيدة في هذا الوقت بالذات؟

محمود: (متضايقاً – لأشترى الجبن والبيض والزبد بثمن أقل.

البرج: (مبتسماً ابتسامة ذات مغزى) – هل تعتقد أن هذا هو السبب الوحيد؟

محمود: (متظاهراً بعدم الفهم).

لا يوجد سبب آخر.

البرج: فلنتكلم بصراحة يا محمود.. كأصدقاء..

تذكر أننا سنتلكم كأصدقاء في هذه المسألة يا محمود.

محمود: (مراوغاً) هل سيادة البرج مهتم جداً بمعرفة أحوالى العائلية؟

البرج: نتسلى يا محمود.. إلى أن يجئ الأتوبيس.

محمود : ألا توجد وسيلة أخرى للتسلية غيـر هـذه الموضوعات؟

البرج: دعنى إذن أعلمك شيئاً مـن فـن المبـارزة بالسيف.

إن معى سيفين (يستل سيفين من طيات ملابسه).

محمود: لا ... لا ... أنا لا أحب هذه اللعبة.

البرج: أنا أيضاً لا أحبها.. أهواها ولكنى لا أحبها.

محمود: لا مؤاخذة يا سيادة البـرج.. هـذا كـلام متناقض.

البرج: أقصد أنها ليست هدفا في ذاتها.. أهواها ليس لأنى أحبها ولكن لأنى أحب أن أدافع عن نفسى .. أعنـى .. أن الحياة لابد أن تجبرنا بين الحين والحين على المبارزة ... خذ هذا السيف .. .خذ .. سوف تحتاج إليه يوماً ما.

محمود: لا اعتقد إنى سأحتاج إليه.

البرج: بل سوف تحتاج إليه .. مادمت محتاجاً إلـى نفسك مثلاً .. في موقف كهذا الموقف وقـد أرسـلت بـك زوجتك لسبب أو لآخر.. افهم هذا، لسـبب أو لآخـر إلـى ضاحية بعيدة بعيدة كهذه الضاحية، فجأة يبرز أمامك شخص غريب يحدق في عينيك (يقترب محدقاً في عينـى محمـود) وتحدق في عينيه وتشعر على الفور بعدم الارتياح.. وينمـو لديك الشعور بأن ما يربط بينكما ليس هو المودة.. إذن فمـا يشعر به كل منكما نحو الآخر هو العداوة. ومـادام الأمـر كذلك فلكى تكون صادقك مع نفسك. لابد أن تبدأ بالهجوم أو على أضعف الإيمان.. لابد أن تتهيأ للدفاع.

محمود: بصراحة أنا لست مقتنعاً بهذا المنطق.

البرج: (غاضبا) ماذا تعنى؟.. هل هو منطق مختـل .. أم أنك من الذين يفضلون العيش في خنوع .. يسـتجدون الرحمة من الآخرين؟

محمود: لا أقصد.. لكنى أذكر أنـك قلـت لـى إن المسألة مجرد تسلية إلى أن يأتى الأتـوبيس .. أنـا أفضـل وسيلة أخرى.

البرج: حسنا (يغمد السيفين وهو ما يزال غاضـباً) سأعلمك الملاكمة (يوجه إليه لكمة قوية في وجهـه فيسـقط على الأرض) يقف إلى جواره وهو يعد واحـد .. اثنـان.. ثلاثة... أربعة .. خمسة (محمود ما يزال راقداً لا يـنهض) يمسكه من ذراعه ويرفعه إلى أعلى صائحاً – انتهـت هـذه الجولة بالضربة القاضية سنبدأ جولة جديدة تماماً.

محمود: (متهالكاً) لا مؤاخذة يا سيادة البـرج – أنـا أعرف أنه لا توجد جولات أخرى بعد الضربة القاضية لقـد انتهت هذه المباراة... نعم انتهت.

البرج: ضاحكاً – إذن نعود إلى السيف... خذ هـذا السيف ولا تخش شيئاً (يمد إليه السيف بينما يظـل الأخيـر متردداً)..

البرج: في لهجة حاسمة.. خذ ولا تكن جباناً قلت لك لن أؤذيك.

محمود: وهو يتناول السيف – ولكـن إذا طعنتنـى بنفس الطريقة التي لكمتنى بها.. فسوف تكون القاضية حقاً.

البرج: ضاحكاً – لا تخف يا صديقى .. لن أؤذيـك، الآن تعلم كيف تمسك المقبض بطريقة سليمة هكذا (يقـبض على مقبض سيفه بطريقة معينة فيقلده محمود).

هيا بنا نبدأ (يبدأ في التراقص فيقلده محمود، فجـأة يطيح بسيف محمود في الهواء مقهقها. هـذا لأنـك تمسـك المقبض بقوة.. لا تجعل قبضتك محكمة جـداً ولا متراخيـة جداً.. هل تفهم؟ هيا نبدأ من جديد (يبـدأ كـل منهمـا فـي الاقتراب نحو الآخر وصد ضرباته بـين الحـين والحـين يتعرض محمود لوخزة صغيرة فيصرخ متوجعاً... في حين يهتف البرج مقهقها نقطة.. بعد فترة يدب التعب إلى محمود وتتلاحق أنفاسه)...

محمود: لقد تعبت ... تقطعت أنفاسى.. هل تأذن لى يا سيادة البرج أن استريح قليلاً؟

البرج: ها ... ها... لياقتك منخفضة .. أذنت لك .. استرح قليلاً يا محمود.

محمود: (يجلس متهالكاً إلى جوار السلة ينظر إليها ثم إلى ساعته ثم يتطلع إلى بعيد يقول في أنفاسه المتقطعة) – تعبت جداً ... جداً....

البرج: لياقتك منخفضة. لابد أن تؤدى التمرينات الرياضية كل صباح.

محمود: سأفعل ... إن شاء ا ... سأفعل..

البرج: انهض يا محمود وهيا نواصل التسلية.

محمود: ... أما ما أزال متعباً.. نتسلى بأى شئ آخر.

نتجاذب أطراف الحديث.

البرج: ولكنك تتهرب من الإجابة على أسئلتى يا محمود.

محمود: كلا ... كلا .. لن أتهرب. أسأل ما شئت.

نحن أصدقاء.. نحن أصدقاء (ينظر إلى ساعته ثم إلى السلة ثم يتطلع إلى بعيد)...

البرج: (عاقداً ذراعيه وراء ظهره وهو ما يزال ممسكاً السيف يتمشى .. قليلاً.. يخاطب محمود وهو مدير ظهره إليه).

لا بأس بأن نتجاذب الحديث. يا محمود هل تستمتع كثيراً بمضاجعة زوجتك؟

محمود: يهب منتفضاً وغاضباً – الحقيقة ... الحقيقة.. (يغريه الوضع الذي يقف فيه البرج فينقض عليه بالسيف محاولاً طعنه من الخلف، البرج يقفز فجأة فيتفادى الطعنة، ويستدير إلى محمود)...

البرج: آه... لقد صدق ظنى أيها الغادر الغبى! هل تصورت أنى كنت غافلاً عنك؟ لقد كنت أعلم حقيقة مشاعرك طيلة الوقت.. أعلم ما تكنه لى من الكراهية، لكننى آثرت أن أختبرك اختباراً قاطعاً قبل أن أجهز عليك.

محمود: هلعاً – كلا يأبا الأبراج لم أكن أقصد قتلك..

أنا كنت أواصل التمرين.

البرج: كاذب .. والآن دافع عن نفسك.. المسألة الآن جد لا مزاح.

محمود: أتوسل إليك... إن لـى زوجـة وأطفـالاً.. الرحمة.

البرج: ها .. ها .. تخاف على زوجتك وأطفالـك.. اقتلنى إذن إن استطعت فهذه هي الوسيلة الوحيدة لكي تعـود إليهم... (يتقدم إليه بينما يتراجع) .. لن أجهز عليـك مـرة واحدة سألهو بك ما يلهو القط بالفأر (يهجم عليه بينما يقـوم محمود بصد الطعنات وقد زاده الرعب تمسكاً بالحياة) (ينتهز البرج فرصة تراجع محمود فيمسك بالسلة).. هـذه غنـائم. إنها، من حقى ... صحيح أنها غنائم تافهة لكنهـا تشـعرنى بمقدمات النصر، أما الانتصار الحقيقى فهو حين أوجه إليـك الطعنة القاتلة (يسمع في هذه اللحظة صوت الأتوبيس قادمـاً من بعيد).

محمود: فرحا – الأتوبيس .. عنـدما يقـف علـى المحطة سأقفز إليه وأطلب منهم أن يقبضوا عليك.. الأفضل أن تنصرف يا برج وتتركنـى وشـأنى، وسـوف أتركـك وشأنك.. انصرف يا برج فهذا أحسن لك...

(البرج لا يعبأ به وينقض عليه) بينما يتمكن هو من صد الطعنات..

يقترب صوت الأتوبيس من المحطة ثم يبتعـد مـن جديد.

البرج: ساخراً – هل رأيت ... لقد هرب الأتـوبيس .. عندما رأى شخصين يتبارزان... آثـر السـلامة .. إنـه أتوبيس من مبدأ (وأنا مالى .. يا عم ... ها ... ها).

محمود: هناك دورة أخـرى .. سـيأتى الأتـوبيس الأخير مزدحماً كعادته، وسوف ينزل أشخاص كثيرون على هذه المحطة .. وسوف يحضر إليها بعـد قليـل أشـخاص كثيرون أيضاً .. ليدركوا الموعد الأخير.. سوف يشـاهدونك ويقبضون عليك.

البرج: (ساخراً) في وجود هذا السيف؟

محمود: من المؤكد أن بعضهم معـه مسدسـات .. انصرف ... هذا أحسن لك.

البرج: هل أنت واثق من أنك سوف تستطيع الصمود إلى أن يحدث شئ من هذا .. بافتراض أن شيئاً مـن هـذا سيحدث..

محمود: انصرف ودعنى ... هذا أحسن لك.

البرج: وأنت .. دافع عن نفسك هذا أحسن لك (يهجم عليه).

(يستدل الستار بينما ما تزال تسمع صلصلة السيوف).

مجلة "إبداع"

يونيو ١٩٨٨م.

كابوس الشاعر ن .ع

١ ـ العودة:

بعد سبع سنين قضاها الشـاعر ن. ع فـي خدمـة القوات المسلحة شهد خلالها معارك حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر واستشهاد عدد كبير من زملائه: عـاد إلـى عملـه المدنى بإدارة البحوث الاقتصادية بالمصرف المركـزى..... عاد إلى عمله الروتينى ليصبح اسمه مرة أخـرى "الأسـتاذ فلان". بعد أن كان الجندى مؤهلات "فلان"،....عاد ليغـرق في أكداس من التقارير والملفات والصحف وبرقيات وكالات الأنباء والأرقام وجداول الإحصائيات والرسوم البيانية، ثـم يمضى آخر الشهر إلى الخزانة لكي يقبض راتبه الشهرى...

الحق يقال .. إن بلادنا كريمة وبارة بأبنائها المقاتلين فرغم انقطاعهم عن العمل طوال فترة التجنيد ظلت مرتباتهم تصرف بلا انقطاع .. وعلى الرغم من الضائقة المالية التي أصابتها بسبب الحرب فقد ظلوا يحصلون علـى علاواتهـم وترقياتهم، لا ينقصون شيئا عن زملائهم الموجودين بالعمـل فعلا.. بل لقد كانت لهم الأولوية في بعض الحالات، وهكـذا وجد الشاعر ن.ع أن راتبه الشهرى قد قفـز خـلال هـذه

السنوات السبع إلى ثلاثين جنيها كاملة، وهو مبلغ يفى بنفقات معيشته لمدة عشرة أيام بأكملها.

ها هو ذا يحتل نفس مكتبه القديم. وهذه تقارير الـ ـ I.M.F والـ U.N والـ ـ .E.E.C والفينانشـيال تـايمز والايكونومست والأهرام الاقتصادى، ...هذا هـو مشـروع اجتماع سيمثونيان وقمة رامبوييه وبورتوريكو والرباط،.. يا للصداع حرب أكتوبر هي التي رفعت أسعار البتـرول مـن ثلاثة دولارات للبرميل.. إلى ثلاثة عشر دولاراً... فـائض السعودية ودول الخليج سوف يزداد في العام القادم بمقـدار ثلاثين ألف مليون دولار على الاقل، ولهذا فمن المتوقـع أن تشهد موازين المدفوعات في الدول الصناعية عجزا شـديدا، وسوف تعانى اقتصادياتها من ضغوط تضـخمية.. سـوف ينتقل التضخم عبر التجارة الخارجية إلى الدول الآخذة فـي النمو... ذوو الدخول الثابتة هم الذين سـوف يعـانون مـن التضخم،... قيمة الثلاثين جنيها من الناحية الفعليـة سـوف تنخفض إلى ما يعادل عشرة جنيهات وربما أقل.. يا للصداع ..، الأرقام تتأرجح أمام عينيه، والصداع يشـتد، والجـداول

تتداخل، والرسوم البيانية تتراقص.. ها هو ذا يميل برأسـه على المكتب ويستغرق في النوم. حينئذ يداهمه الكابوس.

٢-الكابوس:

أخيرا ها هو ذا الشاعر ن.ع يسافر إلى إحدى البلاد البترولية ليعمل باحثا مساعدا بدائرة الأبحـاث الاقتصـادية التابعة لوزارة المالية والنفط.. العمل في طبيعته لا يختلـف كثيرا عن العمل في المصرف المركزى المصرى.. غير أن المكاتب وثيرة... والحجرات مكيفة الهواء ومجهزة بأحـدث الأدوات والأجهزة .. وقد خصصـت لـه حجـرة مسـتقلة تجاورها حجرة رئيس الدائرة..... حينما استقبله أول مـرة شعر بالفزع من تلك النظرات الغريبـة التـي راح يرقبـه بها.... وجه صخرى كالح تتوسطه عينان غائرتان.. لحيـة بشعة وعقال عربى علـى الـرأس... وملابـس إفرنجيـة فاخرة... ونظرات غريبة يشعربها تخترق وجهـه كـوخز الإبر.. قال له اسمع يا مرءوس أنا هنا رئيسك ... وأتمنـى أن أرى نتيجة جهدك قريبا لأن إخواننا المصـريين عمـال مجتهدون... ولا ندرى ماذا كنا سنفعل بدونهم..وراح ينظر إليه تلك النظرة المزعجة...

قال الشاعر ن.ع لنفسه .. يا للمرارة... تترك هبة النهر... لترى هبة الصخر... ابتسم في سره وقرر أن يجعل هذه العبارة مطلعا لقصيدته القادمة.. ثم انتبه على صوت الرجل الصخرى وهو يصرخ..اسمع يا مرءوس .. قلت لك إننى هنا رئيسك ولا ينبغى لك أبداً أن يشرد ذهنك وأنت في حضرة رئيسك!.. قال الشاعر:.. عفوا يا سيدى.. إننى مصغ إليك ... قال الرجل الصخرى الكالح: نريد منك بحثا عن احتياطى بترول المنقطة عام ١٩٨٠م، وقيمته النقدية طبقا للأسعار المتوقعة في ذلك الوقت، ...كذلك نريد منك أن تخصص فصلا في البحث تتناول فيه تعداد الشعب المصري المتوقع عام ١٩٨٠ ونسبة الشبان إلى الشيوخ.

قال الشاعر: عفوا سيدى تقصد تعداد الشعب المصري .. أم تعداد السكان هنا في هذا البلد؟

قال الرجل: قلت لك تعداد الشعب المصرى.. قال الشاعر لنفسه: شئ غريب.. وما علاقة قيمة احتياطى البترول بتعداد الشعب المصرى.. من يدرى لعلهم يعتزمون في عام ١٩٨٠ أن يوزعوا ما يحققونه من عوائد على أبناء الشعب المصري مكافأة له على ما قدمه من جهد وعرق

وكفاح وتضحيات بعد أن يكونوا هم قـد اسـتكملوا عمليـة التنمية واصبحوا غير محتاجين إلى هذه العوائد الضـخمة.. وابتسم مرة أخرى ساخرا من هذا الخاطر الطريف.. وصرخ فيه الرجل الصخرى مرة أخرى: اسمع يا مرءوس ها هو ذا ذهنك يشرد مرة أخرى وأنت في حضرة رئيسك.

قال الشاعر: عفوا سيدى كنت أفكر في العلاقة التي تربط بين احتياطى البترول في بلادكم وبين تعـداد الشـعب المصرى.. إن البحث سوف يبدو غريبا دون إبـراز هـذه العلاقة.. قال الرجل الصخرى: يا مـرءوس لا شـأن لـك بهذا... نحن أدرى بما نحتاج إليه من بيانات ،.. أنـت هنـا لكي تنفذ ما يطلبه منك رئيسك فحسب.. وأنا هنا الرئيس كما تعلم.. وأود أن أقول لك إننا نريد هذا البحث بصفة عاجلـة جدا.. في خلال ثلاثة أيام على الأكثر.. هيا اذهب إلى مكتبك وابدأ العمل.. نظر إليه تلك النظـرة المزعجـة .. فأسـرع الشاعر إلى مكتبه.. هربا من هذه النظرة على الأقل.. بـدأ العمل غير أنه توقف فجأة إذ خيل إليه أنـه سـمع أصـواتا غريبة في المكتب المجاور.. أصوات آلات وتـروس.. ثـم صرخات مكبوتة.. الجدران غير منفذة للصوت لكـن هـذه

الأصوات حقيقة بدون شك... وهى إن تكن خافته فإنهـا لا يمكن أن تكون وهما.. ترى أهو مكتب الـرئيس.. أو أنـه ورشة غامضة.. تحدث فيها الآن أشياء ما؟.. عاود العمل ثم توقف عندما سمع الأصوات مرة أخـرى.. وأحـس بذهنـه يتشتت واستبد به الفضول .. قال لنفسه سأقتحم الغرفة بدون استئذان وليكن ما يكون.. خرج من مكتبه واتجه إلـى بـاب مكتب الرئيس... توقف برهة عند الباب ووضع أذنه علـى ثقب المفتاح غير أنه لم يسمع شيئا،.. كل شئ هادئ تماما .. أدار مقبض الباب فجأة وخطا إلى الداخل.. كان الـرئيس ذو الوجه الصخرى الكالح مكباعلى مكتبه يطالع كتابا، وعنـدما شعر بدخوله جذب درج المكتب وألقى الكتاب بداخلـه فـي سرعة خاطفة كمن يحاول إخفاء شئ هام.. ثم نظر إليه فـي انزعاج وغضب: كيف تدخل بلا اسـتئذان؟ .. ألا تعرفـون الذوق في بلادكم.. قال الشاعر: عفوا سيدى ولكن المصباح الأحمر الموضوع على الباب بالخارج كان منطفئـا فلـم أر مانعا من الدخول مباشرة. قال الرجل الصخرى وقد هـدأت ملامحه: تقول كان منطفئا.. حسنا .. حسنا ... لعل الـدائرة الإلكترونية معطلة.. وسوف نصلحها ... ماذا تريـد؟ قـال

الشاعر: أريد أن أقول إن مدة ثلاثة أيـام لا تكفـى إطلاقـا لإعداد البحث المطلوب.

قال الرجل: لا بد من إنجازه خلال ثلاثة أيام علـى الأكثر.. إذ أن هناك مؤتمرا مهما سوف أحضره بعد ثلاثـة أيام وسوف ألقى البحث على الحاضرين...

قال الشاعر.. يمكننى أن أنجزه خلال ثلاثة أيام ولكن ينبغى أن أبقى في المكتـب بعـد انتهـاء مواعيـد العمـل الرسمية.. قال الرجل الصخرى: فهمت .. أنـت تريـد أن تطلب أجراً إضافيا.. لا بأس .. لا بأس سوف نمنحك أجـرا إضافيا، قال الشاعر كلا لا أتكلم عن الأجر الإضافى.. لكننى أرجو أن تصرحوا لى بالبقاء في المكتب بعد انتهاء مواعيـد العمل الرسمية لأننى أعلم أن الجميع يغادرون مكاتبهم فـي هذه المواعيد، ومن المحظور أن يبقى أحد بعد ذلـك. قـال الصخرى يا مرءوس معك حق.. إننى أصرح لك بالبقاء في المكتب بعد انتهاء مواعيد العمل الرسمية، ...ثم فـتح درج المكتب وأخرج رزمة من المفاتيح أعطاها له قائلا.. خذ هذه المفاتيح وسوف أنبه على العمال بأنك سوف تقـوم بإقفـال الأبواب بدلا منهم. لا تنس أن تتأكد من إقفالها جيدا قبـل أن

تنصرف.. أخذ الشاعر المفاتيح وعاد إلى مكتبه... حاول أن يبدأ العمل غير أنه لم يستطع فقد كان الذهن مشتتا إلى حـد كبير.. ترى ما هذه الأصوات التي سمعها.. لعلهـا كانـت تنبعث من جهاز تسجيل أو مذياع موضوع في مكـان مـا بالغرفة أو لعلها أصوات حقيقية مباشرة : لكن كيف؟ .. وما مصدرها إذن؟ وما هذا الكتاب ذو الغـلاف الأسـود الـذي أسرع الرجل الصخرى الكالح بإخفائه كما لو كان يخفى شيئا خطيراً؟.. قال لنفسه سوف نرى.. لابد أن اكتشف الأمر بعد انصرافه...

***

..لا يدرى كم من الوقت ظل في هواجسه تلك، غير أنه عندما ألقى نظرة إلى ساعة الحائط ثم إلى ساعته تأكد أن موعد الانصراف قد حان منذ ساعة على الأقـل... حينئـذ نهض وقلبه يدق وجسده يرتعش ومضى إلى غرفة الرئيس.. أدار مقبض الباب ودخل إلى الغرفة .. اتجه إلـى المكتـب وراح يجرب المفاتيح .. حتى انفتح درج المكتـب.. لكنـه فوجئ بأنه خال تماما من أي شئ. ظل لحظة مبهوتا.. غير أن خاطراً طرأ على باله فراح يفحص الدرج بعناية... وتأكد

له صدق خاطره عندما لاحظ أن جدران الـدرج وأرضـيته سميكة جدا قال لنفسه.. حقا يوجد درج سرى داخل الدرج.. راح يتحسس أرضية الدرج بعناية حتى عثرت أصابعه على زر صغير .. فأحس بالانتصار .. وضغط على الزر.. لكن لم يحدث شئ... أعاد الضغط على الزر عـدة مـرات دون جدوى.. فأحس بالقنوط .... وراح ينظر إلى درج المكتـب الفارغ حين خطر له خاطر آخر .. هذان التجويفان الغائران في أرضية الدرج واللذان كان يظنهما مخصصـين لوضـع أقلام الحبر وما إلى ذلك.. ليسا في الواقع مخصصين لهـذا الغرض، إذ لا يوجد قلم حبر بهذه المقاسات.. أخـرج مـن جيبه بطاريته وأفرغ حجارتها التورش.. وضـع حجـرين منهما داخل التجويفين فاستقرا تماما.. هكذا... إذن فالـدرج السرى يعمل بحجرين جهد كل منهما ١,٥ فولت... ضـغط على الزر فسمع تكة خفيفة ثم انفتح الـدرج السـرى ولاح الكتاب الأسود.. أخرجه من مكمنه وجلس على المكتب وراح ينظر إليه.. على الغلاف كانت عبارة "سرى للغاية" تعلوهـا تلك الأحرف الثلاثة المشـئومة C.I.A، إذن فهـذه وكالـة المخابرات المركزية... يا لسخرية القدر.. هل شاء لك حظك

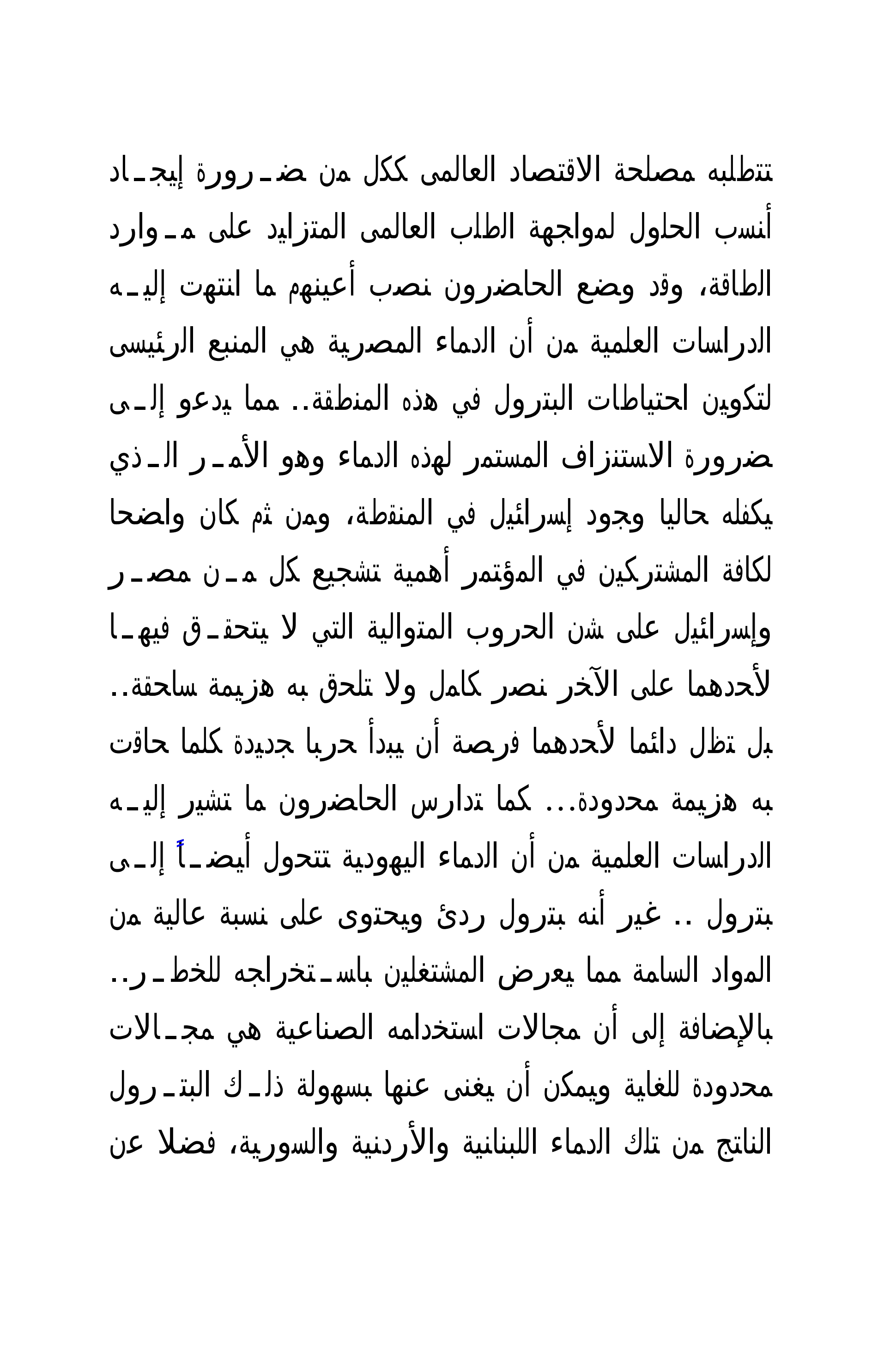
التعس أن تخدم وكالـة المخـابرات فـي النهايـة دون أن تدرى؟... يا لسوء العاقبة..بدأ يقلـب صـفحاته.. الصـفحة الأولى عنوانها: مقدمة علمية بالغة الأهمية .. عـن أحـدث النظريات التي تفسر نشأة البترول وتكونه ... يقول التقرير.. "لقد تعددت النظريات التي تفسر أصل البترول... غير أنه قد ثبت لدينا بما لا يقبل الشك.. نتيجة للبحوث الطويلة المضنية التي قام بها علماؤنا المتخصصون أن البتـرول فـي هـذه المنطقة .. هو في الأصل دماء بشرية تفاعلات مـع التربـة وتعرضت لظروف معينة من الضغط والحرارة حتى تحولت إلى بترول.. وربما أدى هذا إلى الاعتقاد بأنـه كلمـا زادت كمية الدماء المسفوحة زادت كمية البترول في نفس المنطقـة التي تسيل فيها الدماء.. لكن هذا التصور غير صحيح.. ذلك أن البترول المتكون إنما يرحل عادة غير مسام التربة إلـى مسافات بعيدة دون أن يحجزه شئ... ويظل راحلا.. حتـى يتجمع داخل تكوينات جيولوجية معينة تعرف "بالمصايد" هي التي تحجزه داخل جدرانها غير المنفذة... وهى التي تكـون آبار البترول وحقوله.. والدليل على ذلك أن معظـم بتـرول المنطقة العربية هو في الأصل دماء مصرية فـي الغالـب..

غير أنه لما كانت التربة المصرية يندر فيها وجود المصايد.. فقد رحلت هذه الدماء واستقرت داخل مصايد ليبيا والسعودية والخليج.. وفى الصفحة المقابلة خريطة مصورة تبين المسار الذي اتخذته هذه الدماء .. عبر اتجاهاتها المختلفة في رحيلها الطويل عبر الأيام والسنين؟!

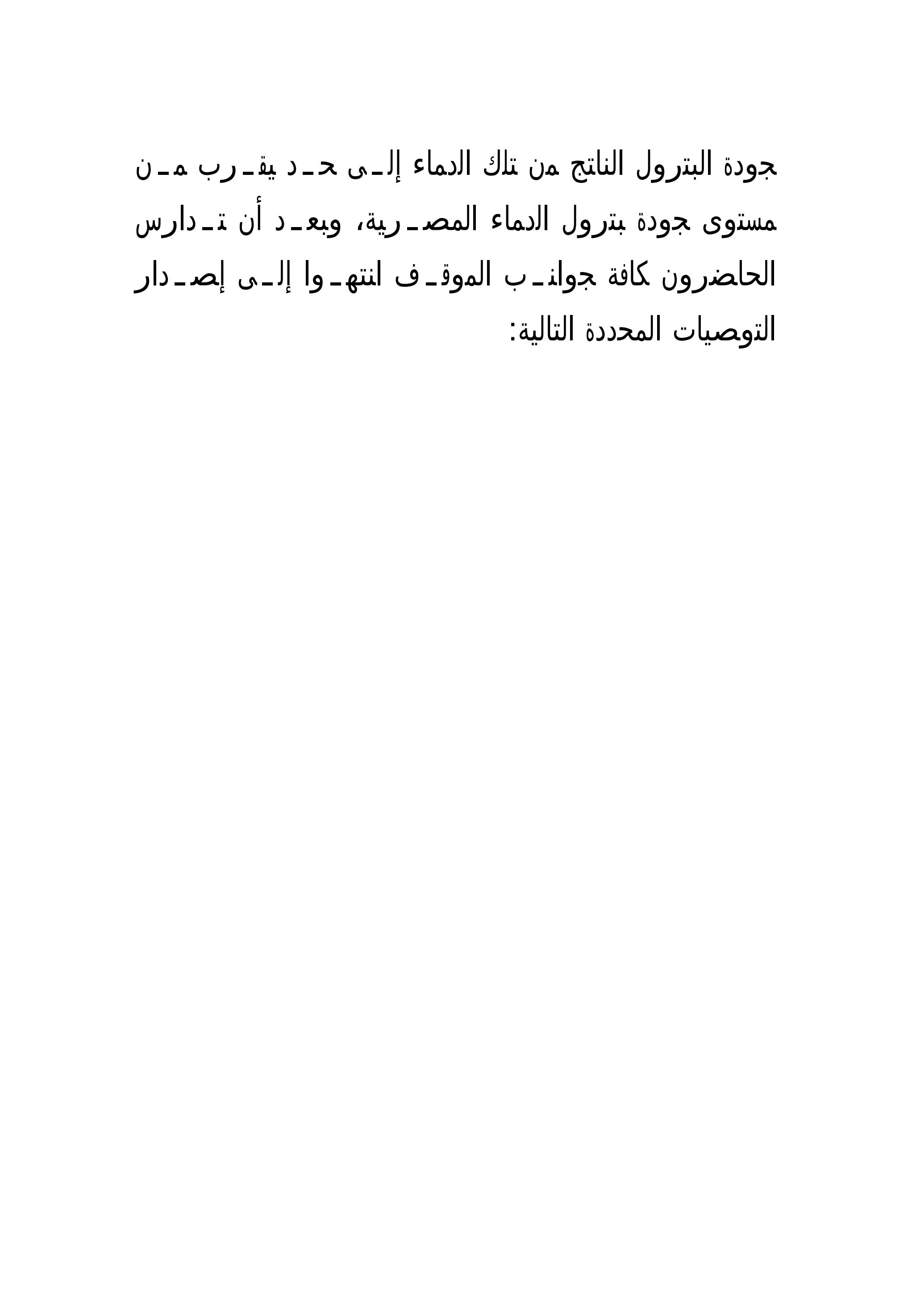
***

أحسن الشاعر ن.ع بالدماء تكاد تقف فـي عروقـه وهو يواصل القراءة.. .....فى الصفحة التالية "تقرير عـن مؤتمر جالسبورو السرى الأول".

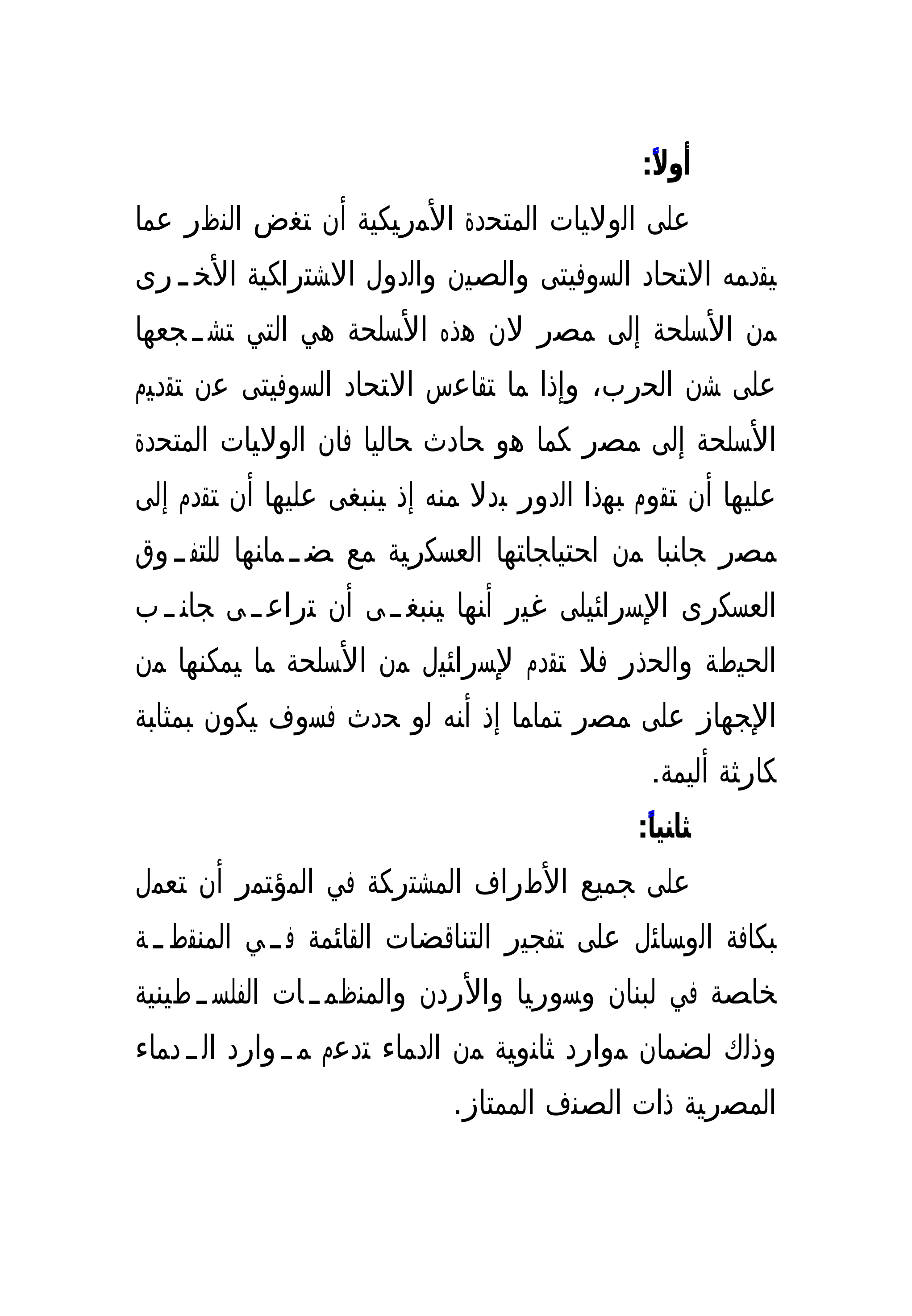
"انعقد هذا المؤتمر بشكل سـرى فـي جالسـبورو بالولايات المتحدة تحت إشراف وكالة المخابرات المركزيـة وقد حضره كل من الممثلين الشخصـيين لرؤسـاء الـدول البترولية بمنطقة الشرق الأوسـط بالإضـافة إلـى ممثلـى الشركات البترولية وممثلى البنوك والمصارف الهامـة فـي أوروبا وأمريكا.. وقد سادت المؤتمر روح طيبة من التعاون والتفاهم الوثيق الذي تمليه المصلحة المشتركة المتمثلة فـي ضرورة زيادة أرباح كل من الدول والشركات المنتجة ومـا يستتبعه ذلك من زيادة حجم الودائع لدى البنوك، فضلا عمـا



تتطلبه مصلحة الاقتصاد العالمى ككل من ضـرورة إيجـاد أنسب الحلول لمواجهة الطلب العالمى المتزايد على مـوارد الطاقة، وقد وضع الحاضرون نصب أعينهم ما انتهت إليـه الدراسات العلمية من أن الدماء المصرية هي المنبع الرئيسى لتكوين احتياطات البترول في هذه المنطقة.. مما يدعو إلـى ضرورة الاستنزاف المستمر لهذه الدماء وهو الأمـر الـذي يكفله حاليا وجود إسرائيل في المنقطة، ومن ثم كان واضحا لكافة المشتركين في المؤتمر أهمية تشجيع كل مـن مصـر وإسرائيل على شن الحروب المتوالية التي لا يتحقـق فيهـا لأحدهما على الآخر نصر كامل ولا تلحق به هزيمة ساحقة.. بل تظل دائما لأحدهما فرصة أن يبدأ حربا جديدة كلما حاقت به هزيمة محدودة... كما تدارس الحاضرون ما تشير إليـه الدراسات العلمية من أن الدماء اليهودية تتحول أيضـاً إلـى بترول .. غير أنه بترول ردئ ويحتوى على نسبة عالية من المواد السامة مما يعرض المشتغلين باسـتخراجه للخطـر.. بالإضافة إلى أن مجالات استخدامه الصناعية هي مجـالات محدودة للغاية ويمكن أن يغنى عنها بسهولة ذلـك البتـرول الناتج من تلك الدماء اللبنانية والأردنية والسورية، فضلا عن



جودة البترول الناتج من تلك الدماء إلـى حـد يقـرب مـن مستوى جودة بترول الدماء المصـرية، وبعـد أن تـدارس الحاضرون كافة جوانـب الموقـف انتهـوا إلـى إصـدار التوصيات المحددة التالية:

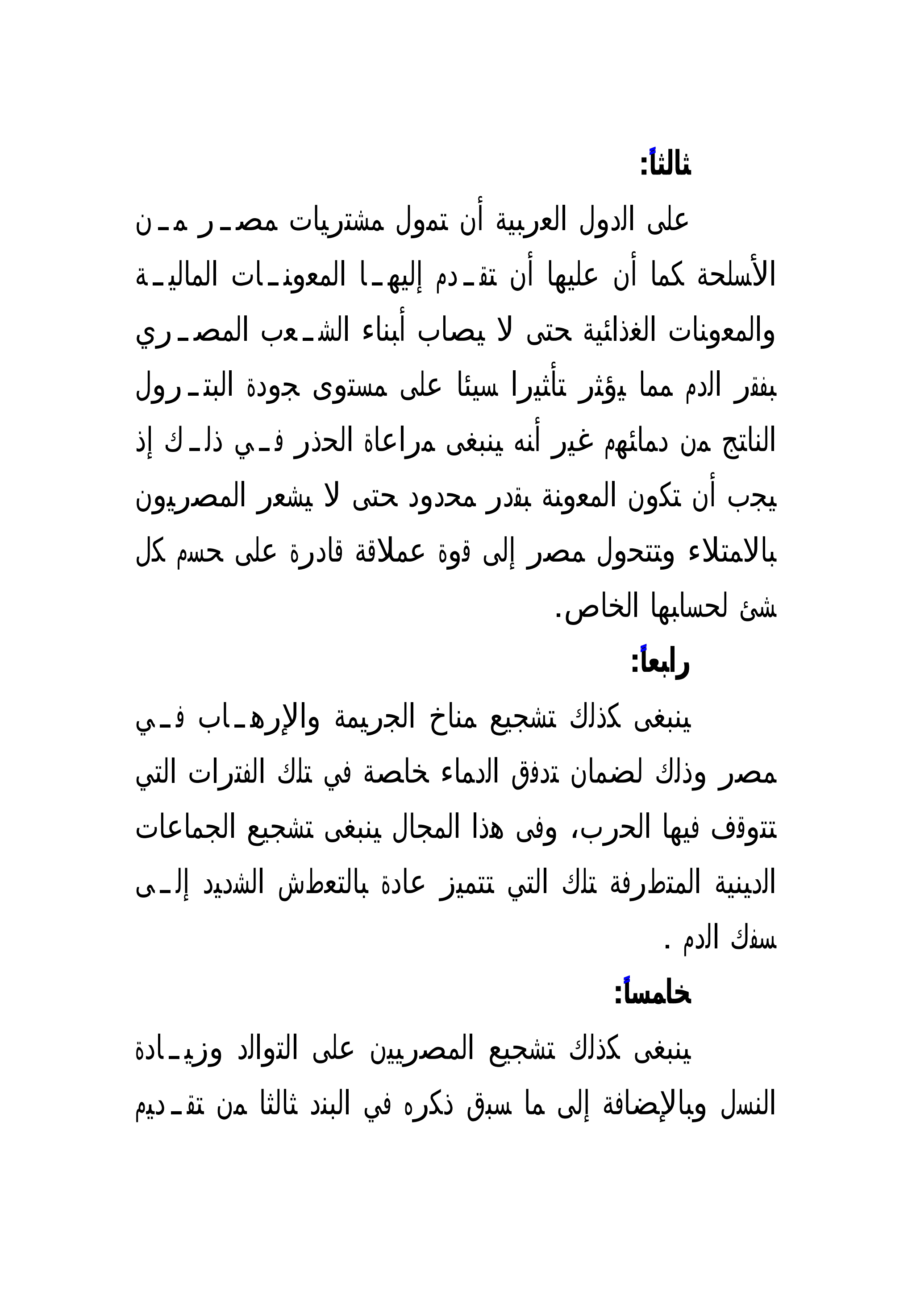


أولاً:

على الولايات المتحدة الأمريكية أن تغض النظر عما يقدمه الاتحاد السوفيتى والصين والدول الاشتراكية الأخـرى من الأسلحة إلى مصر لان هذه الأسلحة هي التي تشـجعها على شن الحرب، وإذا ما تقاعس الاتحاد السوفيتى عن تقديم الأسلحة إلى مصر كما هو حادث حاليا فان الولايات المتحدة عليها أن تقوم بهذا الدور بدلا منه إذ ينبغى عليها أن تقدم إلى مصر جانبا من احتياجاتها العسكرية مع ضـمانها للتفـوق العسكرى الإسرائيلى غير أنها ينبغـى أن تراعـى جانـب الحيطة والحذر فلا تقدم لإسرائيل من الأسلحة ما يمكنها من الإجهاز على مصر تماما إذ أنه لو حدث فسوف يكون بمثابة كارثة أليمة.

ثانياً:

على جميع الأطراف المشتركة في المؤتمر أن تعمل بكافة الوسائل على تفجير التناقضات القائمة فـي المنطقـة خاصة في لبنان وسوريا والأردن والمنظمـات الفلسـطينية وذلك لضمان موارد ثانوية من الدماء تدعم مـوارد الـدماء المصرية ذات الصنف الممتاز.



ثالثاً:

على الدول العربية أن تمول مشتريات مصر من الأسلحة كما أن عليها أن تقدم إليها المعونات المالية والمعونات الغذائية حتى لا يصاب أبناء الشعب المصري بفقر الدم مما يؤثر تأثيرا سيئا على مستوى جودة البترول الناتج من دمائهم غير أنه ينبغى مراعاة الحذر في ذلك إذ يجب أن تكون المعونة بقدر محدود حتى لا يشعر المصريون بالامتلاء وتتحول مصر إلى قوة عملاقة قادرة على حسم كل شئ لحسابها الخاص.

رابعاً:

ينبغى كذلك تشجيع مناخ الجريمة والإرهاب في مصر وذلك لضمان تدفق الدماء خاصة في تلك الفترات التي تتوقف فيها الحرب، وفى هذا المجال ينبغى تشجيع الجماعات الدينية المتطرفة تلك التي تتميز عادة بالتعطش الشديد إلى سفك الدم .

خامساً:

ينبغى كذلك تشجيع المصريين على التوالد وزيادة النسل وبالإضافة إلى ما سبق ذكره في البند ثالثا من تقديم

المعونات الاقتصادية إلى مصر فمن الضرورى أيضاً شـن حملة إعلامية ضخمة لحث المصريين على زيـادة نسـلهم، ولما كان الشعب المصري متدينا بطبيعته فان أنسب المداخل إلى ذلك هو المدخل الدينى وفى هذا المجال ينبغى التـرويج للأحاديث النبوية الكريمة التي تدعو إلى زيادة النسـل مـن أمثلتها "تناكحوا.. تناسلوا.. فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة "، وفى نفس الوقت ينبغى التشكيك في صحة الأحاديـث التـي تدعوا إلى تقليل النسل ومنها "جهد البلاد.. كثرة العيال وقلة الشئ" باعتبارها أحاديث مدسوسة ضعيفة السند". وعلى أيـة حال وطبقا للدراسات المتاحة فإن تعداد الشـعب المصـري ينبغى ألا يقل بحال من الأحوال عن ٥٠ مليون نسمة عـام ١٩٨٠.

وارتجف الشاعر ن.ع عندما وصل إلى هذا الحد: يا للبشاعة .. يا للبشاعة.. إذن فهذا هو السر في اهتمام الرجل الكالح بتعداد مصر عام ١٩٨٠ رحماك يا رب .. ما أغرب وما أبشع ما يحدث.. ما أبـ.. وتجمدت عروقه عندما سمع ضحكة صفراء باهته .. ورفع وجهه ليطالع وجـه الرجـل الكالح واقفا بالباب وحوله زمرة من الرجال يشبهونه إلى حد

كبير وقد أمسك بعضهم بخناجر ضخمة فـي حـين امسـك الآخرون بمسدسات .. قال الرجل الكالح- منذ البداية وأنـت يبدو عليك الفضول.. كنت أعلم أنك لن تقوى على مغالبـة فضولك .. قال الشاعر – عملى كباحث يقتضـى منـى أن أسعى دائما إلى معرفة الحقيقـة.. ضـحك الرجـل الكـالح ضحكته الصفراء الباهته تلك وقال : حقا.. حقا.. إنـك لـن تعرف الحقيقة فحسب ولكن سوف تعيشها ..، أعنـى أنـك سوف تموتها إن شئت الدقة أيها الباحث الدقيق! وضغط على زر في الحائط.. فظهر على الفور تجويف غائر بحجم الجسم الآدمى تقريباً.. أشبه ما يكون بذلك التجويف الذي يقف فيـه الإمام في المساجد العتيقة.. غير أن هذا التجويف كان مليئـا بالتروس والأذرع المعدنية والأنابيب.. أشار الرجـل إلـى زمرته فانقضوا على الشاعر وحملوه عنوة وألقوا بـه إلـى التجويف... وعلى الفور تحركت الاذرع المعدنية وأمسـكت به وشلت حركته تماماً... ضغط الرجل الكالح علـى زرار آخر في الحائط المقابل وعلى الفور ظهرت شاشة تليفزيونية استطاع الشاعر أن يرى صورته فيها وهو مكبـل بـالاذرع المعدنية وقد أحاطت به التروس والسيور والأنابيب.. وقـال

الرجل الكالح.. وهو يرمقه بتلك النظرة الغريبة التي أصبحت الآن واضحة المغزى- يمكن أن تراقب نفسك على الشاشـة بشكل أدق.. إننا نتيح لك فرصة إشباع هواية الفضول بهـذه الطريقة!!.. تحركت التروس قليلاً ثم امتدت سـاق معدنيـة ذات طرف حاد وبقرت بطنه بطريقة غريبة.. كأنها سـكين جزار مجنون.. هذه كبده وكل أحشائه الممزقة تتـدلى مـن جوفه في حين راح الدم ينسكب كشـلال صـغير!!. قـال الشاعر بهذه الطريقة بقر بطن "مخاص" رفيقى فـي حـرب ١٩٧٣ .. إننى أذكر جيدا.. عندما بقر كـان شـكله هكـذا تماماً.. قال الرجل – فعلا .. بهذه الطريقة... عمومـا كـل الطرق تفضى إلى حقل أبقيق...

خلال شاشة التليفزيون راح الشـاعر يراقـب دمـه المسفوح وهو يتجمع في الأنابيب ثم يمضـى فـي رحلتـه الطويلة عبر الصحراء لكي يصب قطرة.. قطرة فـي حقـل أبقيق....

٣- التحقيق:

كان الشاعر ن. ع واقفا أمام مكتب الأستاذه "هبـه" رئيسته في العمل.. كان وجهها مكتسيا بصرامة شديدة وهى

تحرر المذكرة الخاصة بتحويله إلى الشئون القانونية للتحقيق معه في الواقعة المنسوبة إليه: "النوم أثناء العمل".. ورفعـت وجهها الصارم وهى ما تزال تزمجر، كنا نظـن أنـك قـد تعلمت النشاط والحيوية في خدمتك للقوات المسلحة .. ولكن وا أسفاه .. "راح يحملق فيها.. وقد غلبته رغبة شديدة في أن يروى لها ما رآه في الكابوس غير أنه خجل مـن نفسـه.. التقت نظراتهما .. وأحس بها وهى تنظر إليه فـي دهشـة وعمق.. هم مرة أخرى بأن يقول شيئا ما .. غير أن جرس التليفون الذي أخذ يدق أحبط رغبته فـي الكـلام. رفعـت الاستاذة "هبه" سماعة التليفون وحين وضعتها راحت تمـزق المذكرة المكتوبة.

قالت له في هدوء- لن تحال إلى التحقيق.. لقـد تـم استدعاؤك مرة أخرى إلى القوات المسلحة، أرجو أن تتوجه إلى شئون العاملين لإخلاء طرفك ثـم.. ثـم.. لا شـئ .. فلتصحبك السلامة.. ومدت يدها مصافحة.

(كتبت عام ١٩٧٤وأرسلت إلى عدد مـن الصـحف والمجلات تليت في عدد من الندوات الأدبية لكنها لم يقـدر لها أن تنشر إلا في عام ١٩٨٠ مجلة أكتوبر ـ العدد٢٠٠)

الخروج من الناقوس

"أحداث هذه القصة.. مأخوذة عن المقتطفات المختلفة التي نشرتها مجلة (..) في بعض أعدادها".

-١-

في ٢١/٣/

كتب مراسل المجلة للشئون العلمية:

لم تنجح التجربة التي أجريت صـباح هـذا اليـوم لإخراج السيد "مدنى مدنى" من ناقوسه الزجـاجى المحكـم القفل، فبعد أقل من ساعة من إخراجه قرر العلماء والأطبـاء المشرفون على التجربة إعادته فورا إلى النـاقوس حرصـا على حياته، وتأجيل تنفيذ العملية إلى موعد آخـر مناسـب سوف يحددونه فيما بعد.

وما يزال السيد مدنى مدنى على قيـد الحيـاة وقـد عادت أجهزة جسمه الطبيعية إلى مواصلة عملها بانتظام بعد ذلك الاختلال الحاد الذي طرأ على جهازه العصبى وانعكس أثره على سائر أجهزة جسمه عقب المحاولة التجريبية الفاشلة لإخراجه من الناقوس.

وتدور حاليا تكهنات كثيرة عما إذا كان السيد "مدنى" سوف يظل محتفظا باسمه الحالى "مدنى مدنى" أم أنه سـوف يعود إلى اسمه القديم "مكى مكى". بعد أن ثبت فشل التجربة التي كادت أن تؤدى بحياته.

ومما هو جدير بالذكر أنه كان قد تقرر إطلاق هـذا الاسم الجديد عليه قبل بدء تنفيذ التجربة بأسـبوعين، وذلـك تيمنا بقرب خروجه من الناقوس الذي قضى فيه حتى سـاعة كتابة هذا التقرير ثمانمائة واثنتين وأربعين ألف ساعة وثلاثا وأربعين دقيقة أي ما يزيد على تسعة وثلاثين عاماً.

-٢-

تقرير خاص عن وضع السيد "مدنى" داخل الناقوس

فى ٣/٢٨/

كتب مراسل المجلة للشئون العلمية هـذا التقريـر الخاص:

يقيم السيد مدنى داخل ناقوس ضخم مـن الزجـاج المعالج بمواد كيماوية معينة تعطيه لونا خاصا لحجز أشـعة الضوء العادى من النفاذ إلى داخل الناقوس، إذ قـد يـؤدى نفاذها كما يقول الأطباء إلى إحداث تأثيرات ضارة وخطيرة

على عينى السيد مدنى وعلى خلايا بشرته، فضلا عن أنهـا تحدث تنبيها غير مرغوب فيه لجهازه العصبى السـمبثاوى، وقد عبئ الناقوس من الداخل بالأكسجين الخالص الممـزوج بنسبة ضئيلة من ثانى أكسيد الكربون (بناء عل نصيحة أحد الخبراء الأجانب) ويتم التحكم في هذه النسبة بواسطة جهـاز خاص متصل بالأنابيب الممتدة بين النـاقوس واسـطوانات الأكسجين وثانى أكسيد الكربون مع استخدام صمامات خاصة تعمل تلقائيا.

وبالإضافة إلى أنابيب التنفس هذه فإن الناقوس تتصل به مجموعات أخرى من الأنابيب المختلفة لتمكين السيد مدنى من التغذية والإخراج وأداء الوظائف الحيوية الأخرى.

وفضلا عن ذلك فإن عددا من الكـابلات المشـتملة على مجموعات مختلفة من الاسلاك الجيدة التوصيل – تنفـذ من الناقوس حيث تنتهى أطرافها الخارجيـة بالعديـد مـن الأجهزة المختلفة الأحجام والأشكال والتـي تقـوم بقيـاس وتسجيل حالة الضغط والنبض كما تقوم برسم نشـاط المـخ الأعصاب ومعدلات التنفس وإفرازات الغدد... إلخ.

تحقيق خاص عن تاريخ حياة السيد مدنى مدنى

في ٤/٤/

كتبت "سامية عطية ويوسف الصديق":

منذ اكثر من تسعة وثلاثين عاما.. وبعـد عقـم دام أعواما عديدة رزقت الحاجة حليمـة (المرحومـة الحاجـة حالياً)... بمولودها الأول والأخير بعد أن ظلت طوال تلـك الأعوام تطوف على الأطباء والمشايخ وأولياء ا والمجربين والسحرة والمشعوذين، وبعد أن ذبحـت عشـرات الهداهـد ومئات طيور أبى القردان وصنعت مـن رؤسـها وذيولهـا أحجبة وتمائم، وبعد أن بترت ذيول بعض الثعالـب ونتفـت شعر بعض القردة وطافت البلاد طولا وعرضا تسأل عمـن يكون قد وفق إلى اصطياد فقس حديث لطائر الرخ، وبعد أن شربت دماء السلاحف وأكلت لحوم القنافذ بل وسمحت مـرة لأحد الحواه – وهى ترتجف – بـأن يحـيط جيـدها بأحـد الثعابين السامة.. لعل هذا كله قد يجلب المولود السيد، ناهيك عما كانت تفرضه على زوجها الحاج مكى من اتباع بعـض التعليمات القاسية التي أشار بها ذوو الخبرة كاحتساء عصير

العلقم على الريق ثلاث مرات في الأسبوع وتعاطى خصـية القرد بالإضافة إلى بعض التعليمات الأخرى التي لا يجـوز ذكرها في هذا المجال.

وقد ظل الحاج مكى طوال العشرين عاما تلك راضيا محتسبا بما قدر ا   فلم يحاول أن يتزوج من أخرى رغبة في إنجاب الذرية ولم يسئ معاملتها عقابا لها على عدم الإنجاب كما كان يفعل الكثيرون من أهالى الريف في ذلك العهد. وقد قدرت له الحاجة حليمة هذا الصنيع وقررت أن تطلق عـل الوليد الجديد اسم أبيه "مكى" تيمنا ووفاء وامتنانا، لكن الأم – ويا للأسف – لم يقدر لها أن تحتضن وليدها مرة واحدة أو أن ترضعه أو تناغيه كسائر الأمهات فقد قرر الأطباء عقب ولادته وضعه في ناقوس الرعاية الزجاجى (وكان ذلك النوع من الرعاية الصحية الصناعية للمواليـد ناقصـى التكـوين وضعاف البنية قد بدأ يشيع استعماله في مستشفياتنا في تلـك الفترة.

وطبقا لتقديرات الأطباء فقد كان من المقـرر بقـاء الطفل في الناقوس لمدة تتراوح بين ثلاثـة أسـابيع وثلاثـة شهور على الأكثر قبل أن يصبح قادرا على مواجهة الحيـاة

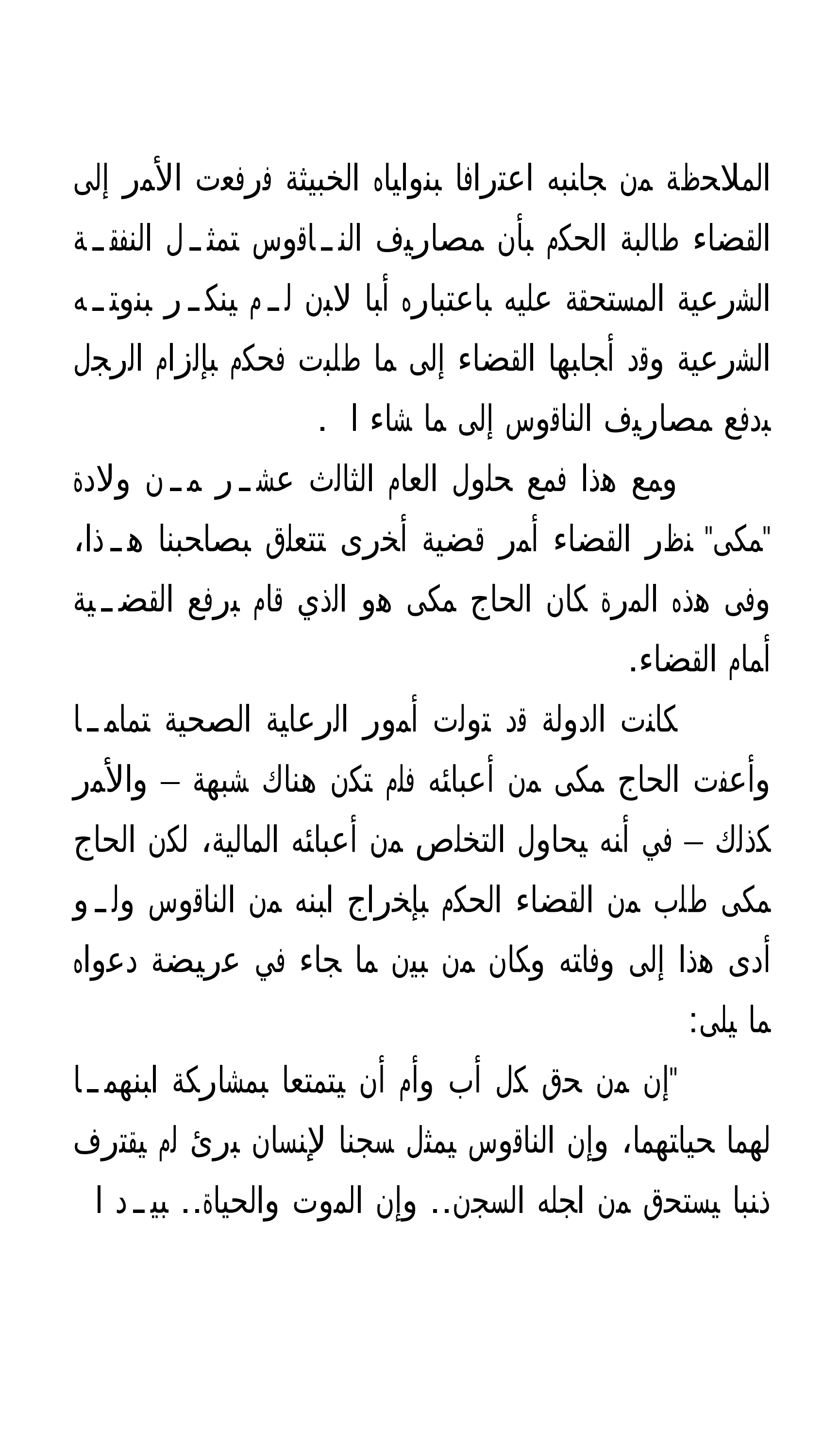
بقدراته الذاتية.. لكن المدة امتدت .. وظل الطفل مكى .. بل وربما الكهل مكى سجين ناقوسه بعد أن استبدل بالناقوس الأول عدة مرات بنواقيس اكبر حجما لكي تسمح لجسده بالنمو.

-٤-

تقرير خاص من مراسل المجلة للشئون القانونية

فى ١١/ ٤/

ما تزال أخبار السيد مدنى "مكى مكى" تشغل الـرأي العام وقد وافانا مراسلنا للشئون القانونية بالتحقيق التالي عن بعض الوقائع القانونية الطريفة التي ثارت حول إقامة السـيد المذكور في الناقوس.. كتب يقول: "مع حلول العام الثالث من ولادة "مكى" كان اليأس قد بدأ يتسرب إلى قلب الحاج مكـى الأب من إمكان خروج ابنه من الناقوس وقرر أن يطلب إلى الأطباء إخراجه منه مهما كانت النتائج أو أن يمتنع عن دفع تكاليف إقامة "مكى" الطفل داخل الناقوس إذا ما أصروا على إبقائه فيه، لكن الحاجة حليمة ثارت ثورة عارمة.. واتهمتـه بأنه يحاول التخلص من الأعباء المالية التي يتطلبها بقاء ابنه في ناقوس ولو أدى هذه إلى هلاك ابنهما الوحيـد، وعبثـا حاول الرجل لأن يدفع عن نفسه هذه التهمة قائلا بأنه لا يهمه المال قد ما يهمه خروج ابنه لكي يسعد به كما يسعد سـائر الآباء بأبنائهم وأن أردف بعد ذلك بأن هذا النـاقوس اللعـين يكلفه فعلا ما لا يطيق، وقد اعتبرت الحاجـة حليمـه هـذه



الملاحظة من جانبه اعترافا بنواياه الخبيثة فرفعت الأمر إلى القضاء طالبة الحكم بأن مصاريف النـاقوس تمثـل النفقـة الشرعية المستحقة عليه باعتباره أبا لابن لـم ينكـر بنوتـه الشرعية وقد أجابها القضاء إلى ما طلبت فحكم بإلزام الرجل بدفع مصاريف الناقوس إلى ما شاء ا .

ومع هذا فمع حلول العام الثالث عشـر مـن ولادة "مكى" نظر القضاء أمر قضية أخرى تتعلق بصاحبنا هـذا، وفى هذه المرة كان الحاج مكى هو الذي قام برفع القضـية أمام القضاء.

كانت الدولة قد تولت أمور الرعاية الصحية تمامـا وأعفت الحاج مكى من أعبائه فلم تكن هناك شبهة – والأمر كذلك – في أنه يحاول التخلص من أعبائه المالية، لكن الحاج مكى طلب من القضاء الحكم بإخراج ابنه من الناقوس ولـو أدى هذا إلى وفاته وكان من بين ما جاء في عريضة دعواه ما يلى:

"إن من حق كل أب وأم أن يتمتعا بمشاركة ابنهمـا لهما حياتهما، وإن الناقوس يمثل سجنا لإنسان برئ لم يقترف ذنبا يستحق من اجله السجن.. وإن الموت والحياة.. بيـد ا

يمنحهما من يشاء ويمنعهما من يشاء، وإنه إذ يشكر للدولـة إنفاقها كل هذه النفقات على ابنه السجين،فهو يرى فىالوقـت ذاته أنها تبدد مواردها على هذا الناقوس وما شـابهه حيـث كان ينبغى عليها أن توجه مواردها إلى ما يسعد الناس لا ما يسبب شقاءهم".

وقد رد محامى الحكومة على هذه الدعوى بمـذكرة بليغة نقتطف منها ما يلى:

أولا: إن الحياة – على أي وجه من الوجوه – حق في حد ذاته يقرره القانون وتكلؤه الدولة بحمايتها ورعايتها وليس من حق أي مواطن أن يسلب مواطنا آخر حياتـه – ولو كان هذا المواطن هو ابنه – بدعوى أن حياته لا نفع فيها وأن الموت خير منها.

ثانياً: أن المدعى المذكور (الحاج مكى) قـد خـول لنفسه بدون صفة رسمية الحق في أن يرسم سياسـة الدولـة ويبين لها ما ينبغى عليها أن تنفق موردها فيه وما لا ينبغى.

ثالثا: أن المدعى المذكور مواطن عاق فهـو يوجـه الإهانة إلى الدولة ويتهمها بالغفلة وتبديد الموارد فيما لا يسعد الناس – في الوقت الذي ينبغى أن يشـعر فيـه بالامتنـان

والعرفان لما تكبدته الدولة في الإنفاق على ابنه، ولهذا كله:
فانه يطلب من عدالة المحكمة أن تقضى برفض طلبات المدعى، كما أردف أنه سوف يطلب إلى النيابة أن تقيد الدعوى الجنائية ضد المدعى لتوجيه الإهانة إلى الدولة وتشكيكه في سياستها الحكيمة.

ملحوظة:

(قامت النيابة فعلا بتوجيه الادعاء السابق إلى المذكور، كما أكدت وجودها ودورها في المجتمع بتدعيم هذا الاتهام باتهام آخر إلى الحاج مكى مؤاده "الشروع الضمنى في الإجهاز على حياة إنسان"، اعتمادا على أن إخراج مكى الابن من الناقوس يعنى القضاء على حياته، وقد حكم على الحاج مكى بدفع غرامة قدرها مائة جنيه والحبس لمدة عام مع وقف التنفيذ نظرا لظروفه الأليمة بوجه عام وسوء حالته الصحية بوجه خاص).

ومن الطريف أن الحاجة حليمة حزنت جداً لهذا الحكم الذي اعتبرته جائراً – وكانت آراؤها قد تغيرت بمضى الزمن، وقالت في حوار أجرته معها إحدى الصحف بأن من الضرورى أن يستأنف زوجها الحكم الصادر ضده

لكن الحاج نصحها بأن تصمت فربما أدى الأمر إلى أن يلحق بها شئ مما لحق به، ولقد مرض الحاج بعد أيام قليلـة مـن صدور الحكم مرضا شديداً ولم يلبث سـوى أسـابيع حتـى أدركته المنية مما ضاعف من حزن الحاجة حليمة التي لجأت بعد ذلك إلى تقديم الملتمسات والمظالم إلى المسـئولين دون جدوى.

وفى نهاية ذلك العـام قـبض حـراس المستشـفى المركزى على سيدة عجوز تحمل فأسا عتيقة وهى تحـاول الدخول من الباب الرئيسى للمستشفى في حالة هياج شـديدة، وبالتحقيق معها تبين أنها الحاجة حليمة والدة مكـى وأنهـا كانت تنوى تحطيم الناقوس لإخراج وليدها المحبـوب، ثـم انتابتها أثناء التحقيق نوبة من الهذيان لم تبارحها بعد ذلك مما أدى بالمسئولين إلى إيداعها إحـدى مستشـفيات الأمـراض العقلية حيث ظلت نزيلة به لمدة خمس أو سـت سـنوات إذ توفيت منذ نحو عشرين عاما.

-٥-

تقرير خاص عن حياة الحاجة حليمة من مستشفى الأمراض العقلية

فى ٢٥/٤/

كتبت سامية عطية ويوسف الصديق:

"كان من الصعب علينا أن نجد مصدرا للمعلومـات التي نقدمها للقراء في هذا الموضوع المثير نظرا لأن اكثـر من عشرين عاما قد انقضت على وفاة الحاجة حليمـة فـي مستشـفى ( ) للأمـراض العقليـة، فمعظـم الأطبـاء والممرضين الحاليين قد بدأوا خدمتهم في المستشفى منذ وقت قريب نسبيا، كمـا أن الأطبـاء والممرضـين القـدامى لا يستطيعون تذكرها بسهولة لكثرة الحالات التي عاصـروها، وبالرجوع إلى سجلات المستشفى لم نستطيع أن نتوصـل إلا إلى بعض البيانات والتواريخ الروتينية ومن أمثلتها الاسـم: حليمة سعيد مسـعود، تـاريخ الـدخول ٢٨/ ١٢/ ٢٠١٣، التشخيص المبدئى: شيزوفرانيا بالإضافة إلى بعض التقارير الطبية الأخرى، بيد أن أحد طباخى المستشفى المخضـرمين تطوع بأن قدم لنا عنوان ممرض سابق قال أنه كانت تربطه

بالحاجة حليمة صلة قرابة وأنه كان يتوسط لديه لكي يعتنـى بوجباتها الغذائية عناية خاصة كما قـال لنـا أن الممـرض المذكور قد استقال من خدمته بالمستشفى عقب وفاة الحاجـة مباشرة واشتغل – وما يزال – بائعا للكشرى بإحدى الأحياء الشعبية.

وقد استطعنا الاهتداء بسهولة إلـى مطعـم المعلـم "برعى" للكشرى ورحب بنا الرجل ترحيبـا شـديدا عنـدما عرف إننا نقوم بإعداد تحقيق صحفى عن حياة الحاجة داخل المستشفى ودعانا إلى تناول كشرى مخصوص على حسـاب المحل، وأن كان يبدو عليه أن الذكرى ما تزال تؤلمه، فقـد بدأ الحديث بأن ضرب كفا بكف قائلاً:

-قتلوها .... منهم .

انزعجنا من عباراته وسألناه.

-من هم الذين قتلوها يا عم برعى

قال:

-أقصد الحكومة ... والمحاكم ... والدكاتره.. ناس كفار.. مالهم ومالها ... ا وحده هو الذي يحيى ويميت ... ماذا يضرهم لو أخرجوا ابنها من الكفر الذي وضعوه فيـه..

والأمر بعدئذ   يحييه أو يتوفاه.. قادر على كل شئ.... ألم يرزقها بالولد ... بعد خمسة وعشـرين سـنة مـن انعـدام الذرية... منهم   ... قتلوها كمـا قتلـوا الحـاج .. مـنهم ..."...

... إنها خالتى ... بنت خالة والـدتى... وعنـدما أدخلوها إلى المستشفى محاطـة بـالحراس كـالمجرمين .. عرفتنى وقالت لى..

"ازيك يا برعى ... وازى والدتك واخواتـك.. مـا شفتش مكى مش طلعوه يا بنى من السجن النهاردة.. وكـان وشه منور وزى القمر ".

ساعتها بكيت .. أنا الذي لم أبك من قبل، رغم إننـا كنا نرى من هؤلاء المساكين كل يوم أعدادا وقدرها...

قلت لها:

-بخير يا خالتى طمنى بالك.

وعندما أدخلوها – الكفار – إلى عنبر انفـرادى ... كنت أرعى شئونها، إنها مثل والدتى تماما وتستحق الرعاية .. الدكاترة الكفار كانوا يروننا نضرب المرضى ويسـكتون ... والطباخون يقاسموننا طعام الغلبانيين المساكين .. كلنـا

ذنوب فليسامحنا الرحمن... مستشفى يستاهل الحرق بـيمن فيه.

كانت خالتى الحاجة تجلس صامتة في بعض الحالات وفى حالات أخرى تنهض وتثور وترفع ذراعيها في الهـواء كمن يمسك فأسا.. وتهوى على الهواء .. ثم تحتضن الهواء وتبكى.. وكانت في بعض الحالات تغنـى أغنيـات حزينـة جميلة لا تدرى جاءت بها من أين ..وما زلت اذكـر منهـا أشياء كثيرة.

"لميت ضلوعك من ضلوع الهم

وقلت يمكن في يوم .. الألم يتلم

سرحت ياما في دنيا ا .

وسبت يابنى .. في كل درب جرة قدم

يا بير دموع من عينين الألم

يا مكى .. يا بركة .. دم

يا قلبى"...

أدب الناقوس – مقال خاص لمحرر الأدب والفلسفة

في ٧/٩/

كتب محرر المجلة لشئون الأدب والفلسفة:

"ثمة ملحوظة بالنسبة لعطائنا الأدبى في الفترة الأخيرة تؤكد حساسية الأدب لما يدور حول الأدباء من أحداث، ذلك أن الإنتاج الأدبى في الفترة الأخيرة يشكل ما يمكن أن نطلق عليه بشكل أو بآخر اصطلاح "أدب الناقوس" فلقد أيقظت حكاية السيد "مكى مكى" تلك الحقيقة القابعة في وجداننا وهى أن لكل منا ناقوسه الخاص الذي يعيش فيه والذى يفرض عليه نمطا خاصا من الغربة والعزلة وهى غربة ساهمت الحضارة والتقدم العلمى على تعميقها، والواقع إننا لو استعرضنا الأعمال إلى صدرت في الفترة الأخيرة ومن قبيلها رواية "الخروج من الكهف" للكاتب (.....) ومسرحية "شرخ في جدار المقبرة " للمؤلف المسرحى (...) ومسرحية "يونس والحوت" للمؤلف المسرحى (....) لوجدنا أنها جميعا تدور حول محاولة الخروج من هذه العزلة القاسية التي يحسمها الناقوس بشكل واضح، وأما في الشعر فقد

برزت هذه النغمة بشكل اكثر وضوحا بل وبشكل يكاد يكون مباشرا كما في القصيدة التي تجترئ منهـا الفقـرة التاليـة للشاعر (...)

حبيبتى

لو أننى ولدت في ناقوس

ما كنت قد غنيت أغنيات أورفيوس

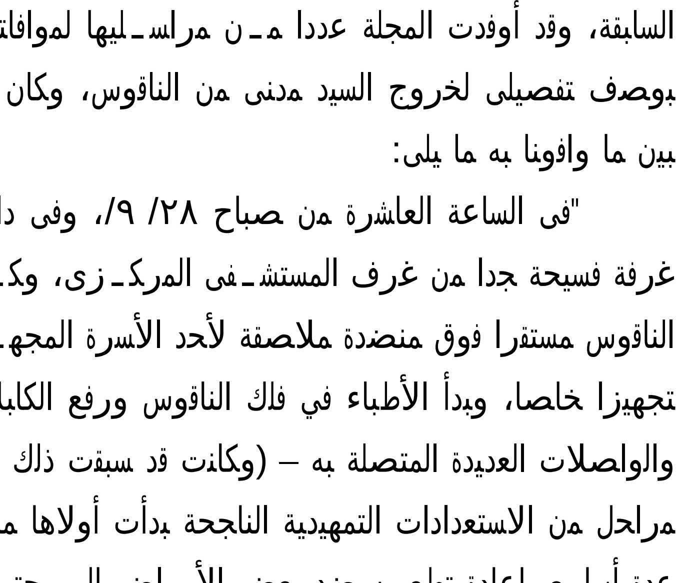
إذن لكان حبنا مقبرة

وحلمنا كابوس

الخروج

فى ٢٨ /٩ ... من عدد من مراسلينا

قرر الأطباء في الأسبوع الماضـي أن الوقـت قـد أصبح ملائما تماما لخروج السيد مدنى مدنى مـن ناقوسـه، وان التجربة الفاشلة التي أجريت في ٢١/ ٣ الماضـي لـم تذهب هباء، فقد لفت نظر الأطباء أنه منذ ذلك التاريخ بدأت أجهزة جسم السيد مدنى تقوى بشكل واضح، وقد فسروا ذلك بأنه استعداد طبيعى من جانب الجسم البشـرى للتـأقلم فـي مواجهة الظروف المتغيرة، وأن هذا الاستعداد الكـامن لـم يبرز إلا عندما تعرض السيد مدنى لخطر الموت في التجربة



السابقة، وقد أوفدت المجلة عددا مـن مراسـليها لموافاتنـا بوصف تفصيلى لخروج السيد مدنى من الناقوس، وكان من بين ما وافونا به ما يلى:

"فى الساعة العاشرة من صباح ٢٨/ ٩/، وفى داخل غرفة فسيحة جدا من غرف المستشـفى المركـزى، وكـان الناقوس مستقرا فوق منضدة ملاصقة لأحد الأسرة المجهـزة تجهيزا خاصا، وبدأ الأطباء في فلك الناقوس ورفع الكابلات والواصلات العديدة المتصلة به – (وكانت قد سبقت ذلك عدة مراحل من الاستعدادات التمهيدية الناجحة بدأت أولاها منـذ عدة أسابيع بإعادة تطعيمه ضد بعض الأمراض إلى يحتمـل أن تنتقل عدواها إليه بعد خروجه من الناقوس، كمـا كانـت آخرها هي ما قم به الأطباء منذ ثلاثـة أيـام مـن التغييـر التدريجى لظروف الجو الداخلى للناقوس حتى تصبح مماثلة تماما لظروف الجو الخارجى – وقد بلغـت هـذه المرحلـة التمهيدية اثنتى عشرة ساعة فقط في التجربة السـابقة ممـا يعدو واحدا من أسباب فشلها – وفى الساعة العاشرة وخمس دقائق تم رفع الناقوس..

كان جسد السيد مدنى هامداً.... وإن أمكن مشـاهدة صدره وهو يعلو ويهبط بشكل متتابع .. وقد تعاون الأطبـاء والممرضات في حمله إلى السرير .. حيث ظل هامدا لبضع دقائق ثم نهض فجأة وحاول الوقوف.. لكن ساقيه لم تحـتملا ثقل جسمه فسقط، وضع كفيه فوق عينيه وأجهش بالبكـاء.. وعندما حاول أحد الأطباء إعطاءه حقنة مهدئـة راح يدفعـه عنه بيديه الواهنتين ويركله بقدميه الكليلتين.. وحـاول بعـد ذلك الوقوف عدة مرات ... لكنه كان يسقط في كل مـرة .. وفى النهاية اخذ يحبو على يديه ورجليه متجها إلى الناقوس، وعندما حاول الأطباء منعه من محاولة الدخول فيه .. أخـذ يقاومهم وهو يجهش بالبكاء بصوت غريب أليم.

مجلة الكاتب

ديسمبر ١٩٧٥

تأملات عادية حول حادث يومى

على الرغم من أن منتصف الأتـوبيس كـان أكثـر ارتفاعا من طرفيه (نظراً لأن السقف محدب قيلاً).. فقد امتلأ الفراغ الواقع بين السقف والأرضية تماماً ابتداء من مقدمـة الأتوبيس حتى نهايته.

كان على الكمسارى أن يحفر فـي الأجسـاد أنفاقـا مناسبة للعبور باستخدام "بريمة"، ولما لم يكن قد أحضر معه بريمة فقد وقف يائساً في مقدمة الأتوبيس!... "الحمل ثقيـل جداً والأوتوبيس يتحرك ببطء شديد .. اكتست جميع جوانب سطحه الخارجى بالأجساد،... تسلق البعض الباب المجـاور للسائق وسقطوا فوقه..(السائق لا البـاب) وسـقط آخـرون فوقهم.. انضغطوا جميعا في هذا الجزء أيضاً.

من الواضح طبعا أن واحدا من هـؤلاء قـد انـدك بالضرورة فوق الفرامل حـين وقـف الأتـوبيس فجـأة.. وتساقطت من على جوانبه الخارجية كسـوته البشـرية ... حاول أحد الواقفين على السلم النزول فلم يستطع .. كان كتفه الأيمن طليقا، لكن الكتف الأيسر كان منحشراً في الزحمة .. مد ذراعه اليمنى إلى أحد العابرين يطلب منه أن يساعده في

تخليص باقى جسده.. راح يجذب ذراعه بقوة.. انضم إليـه خمسة آخرون .. انخلعت ذراع الراكب بين أيديهم فألقوا بها على الأرض .. بدأوا يحاولون جذبه من الكتف.

(حاول أحد الصبية أن يجذبه من أذنه اليمنى ولكنـه أحجم عن المحاولة عندما تبين له عدم جدواها).

تجمع حول الأتوبيس عدد كبيـر مـن العـابرين.. وانضم إليهم فيما بعد رجال الشـرطة والإسـعاف وعمـال الطرق والمهندسون وأعضاء التنظيم السياسى والصحفيون.

المحاولات لا تزال تبذل.. انخلع كتف راكب السـلم وساقه اليمنى .. صاح أحد ضباط الشرطة: ـ ـ "اتركـوهم يجب أن نحصل عليهم أحياء".

حمل رجال الإسعاف الأجسـاد المتسـاقطة علـى الجوانب (التى كانت تستقل الأتوبيس من الخارج).

تساءل أحد الوافدين "أين كان الأتوبيس ذاهبـا"؟؟... قال أحد المهندسين لابد أن نجد طريقة ما لإخراجهم.. قـال ضابط الشرطة موجها الحديث إلى أحد الأطبـاء "يجـب أن نتأكد إذا كانوا على قيد الحياة.."

عاد الرجل الواقف يسأل .... أين كـان الأتـوبيس ذاهبا.... إننى اعتقد أن بعض الراكبين لم يقرأوا رقم الخـط لأنه كان مختفيا خلف الأجساد المعلقة بالخارج.. قال رجـل آخر "أعتقد أننى سمعت الكمسارى يصـرح قبـل وقـوف الأتوبيس قائلا "جاراج يا حضرات".

صعد أحد الأطباء إلى سقف الأتـوبيس، راح ينقـل بوق السماعة من مكان إلىآخر ... تابعه ضـابط الشـرطة باهتمام شديد.. قال الطبيب "هناك أكثر من راكـب مصـاب بلغط في القلب.. ابتسم الشرطى.

قال أحد الناس نستخدم مغناطيسـا كبيـراً ليجـذب الركاب خارج الأتوبيس.... نظر إليه الرجل الواقف بجواره باحتقار وغيظ شديدين لجهله وسذاجته.. وتمتم فـي صـوت منخفض محاذرا ألا يسمعه: "ناس تحف".. لكنه سـمعه مـع ذلك.. انشغل البعض بالفرجة على المعركة.

جاءت عربـة لـورى كبيـرة.. أوصـلها العمـال بالأتوبيس بواسطة حبل غليظ... قال المهندس المشرف على العملية.. "هذا هو المهم .. ننتشل الأتوبيس إلى مكان بعيـد، ثم تتم محاولات إخراج الركاب فيما بعد" .. استوقفه بعـض

أعضاء التنظيم السياسى ريثما يتم لصق منشور توعية على الأتوبيس.. حاول أحد الواقفين أن ينتهـز الفرصـة بـدوره ليلصق منشور دعاية مسحوق غسيل الملابس الجديد.. زجره أعضاء التنظيم السياسى بعنف .. أمسك به أحدهم من عنقـه وسلمه إلى رجال الشرطة.

عاد رجل الشارع يسأل.. أود فقط أن أعـرف أيـن كان الأتوبيس ذاهبا .. فوجئ بشخص طويل عريض يضـع يده على كتفه ويهزه بعنـف : "هـذا السـؤال لـيس مـن اختصاصك".. قال رجل الشارع: وما شأنك أنت... أخـرج الرجل الطويل العريض من جيبه بطاقة تحقيـق شخصـية صغيرة جدا وقربها لعينيه ... ارتجف رجل الشارع.. قـال "لم أكن أقصد" قال الرجل الطويل العريض: "كيف لم تكـن تقصد وقد كررت السؤال حتى الآن ثلاث مرات... وقد تـم تسجيل ذلك صوتيا.. ومثل هذا السؤال الذي سألته أنـت لا يهم في العادة إلا أحد اثنين .. واحد من رجـال مخابراتنـا الوطنية أو واحد من جواسيس الدول المعادية.". نظـر إليـه رجل الشارع مستعطفا. لكن الرجل الطويل العريض لم يلح على وجه أنه قد رق له.

تحركت عربة اللورى فزحفت عجـلات الأتـوبيس على الأرض دون أن تدور.. جاء المهندسون والعمال بونش كبير ورفعوا الأتوبيس فوق اللورى .. واصل رجل الشارع استعطافه للرجل الطويل العريض.. ولكنه لم يسـتمع إليـه وأرغمه على ركوب عربة جيب.

وصلت عربة اللورى الحاملة للأتوبيس إلـى ورش كلية الهندسة .. وقررت لجنة من أساتذة الكلية أنه سوف يتم تحطيم الجدار الخارجى للأتوبيس بالوسائل الفنيـة لإخـراج الركاب.. عارضتها لجنة مشتركة من أساتذة كليـة العلـوم والأطباء على أساس أن هذه العملية لا يمكن الـتحكم فيهـا تماما وقد يترتب عليها بدون قصد أن تتحطم المادة المالئـة للأتوبيس (الركاب هم المقصودون بعبارة المادة المالئة وهى العبارة التي استخدمها تقرير اللجنة).. وبعد مناقشات طويلة تم الاتفاق على معالجة السطح الخارجى للأتوبيس بحـامض مركز حتى يصبح هشا وقبل أن يبدأ التنفيذ تقرر تأجيله حتى يتم دراسة اقتراح تقدم به أحد أعضاء اللجنة للاستفادة بغـاز الأيدروجين الناتج من العملية وقد رفـض الاقتـراح بعـد الرجوع إلى أساتذة الاقتصاد بعدما تبين أنه غير اقتصادى..

تم في النهاية إزالة القشرة المتبقية من السـطح الخـارجى.. كانت محتويات الأتوبيس هي كتلة جامدة شديدة التماسـك .. تشبه في شكلها شكل الأتوبيس تمامـاً.. وكـان الحـامض المركز قد أصاب الرؤوس بحروق شديدة.. بعد أن تسـربت كميات منه من خلال الثقوب التي نتجت أثناء التفاعل.

قال ضابط الشرطة .. يجـب فصـلهم ... التقاليـد تقضى بأن نحصل على أقوالهم كل على حدة.. أجاب رئيس اللجنة : - إننا سوف نحاول هذا بطبيعة الحال إذا كـانوا لا يزالون على قيد الحياة.

تمتم ضابط الشرطة قائلا.. هناك عزاء.. هناك الذين كانوا يستقلونه من الخارج.

قال رجل الشارع باكياً.. وهو يوجـه كلامـه إلـى الرجل الطويل العريض : إنهـم مثلـى تمامـاً.. أرغمـتهم الظروف الطارئة على تغيير وجهتهم..

كتبت عام ١٩٧٠

ونشرت في مجلة الآداب البيروتية،

يونيو ١٩٧١م

قائمة بأهم مؤلفات الدكتور نصار عبد ا

أولاً: في مجال الإبداع الأدبى:

الهجرة من الجهات الأربع وديـوان شـعر (الهيئـة العامة للكتاب) القاهرة،١٩٧٠م.

قلبى طفل ضال (ديوان شعر) دار العربى القـاهرة ١٩٧٨م.

أحزان الأزمنة الأولى (ديوان شعر) الهيئـة العامـة للكتاب – القاهرة ١٩٨١م.

سألت وجهة الجميل (ديوان شـعر) الهيئـة العامـة للكتاب – القاهرة ١٩٨٥م.

ما زلت أقول (ديوان شعر) الهيئة العامة للكتـاب – القاهرة ١٩٩٢م.

قصائد للصغار والكبار (ديوان شعر) الهيئة العامـة للكتاب – القاهرة، ١٩٩٥م.

قانون بقاء الجرح (مجموعة شعرية)، سلسلة الإبداع الشعرى المعاصر، العدد٥،الهيئة المصرية العامة للكتـاب، القاهرة، ٢٠٠٢

الجفاف (مسـرحية) وزارة الثقافـة قطـاع الآداب، ١٩٨٦م.

ثانياً: في مجال المقال الصحفى:

رموز الصحافة رموز السياسة"، مجموعة مقـالات متنوعة، دار الوفاء، الإسكندرية،عام٢٠٠٠

ثالثاً: في مجال الترجمة

١ـ"عظماء وأحلام مزعجة" (مجموعـة قصصـية للفيلسوف الإنجليزى برتراند راسل – دار المعارف القاهرة، ١٩٨٢م.

٢-"أعلام الفلسفة السياسية المعاصـرة (مجموعـة دراسات في الفلسفة السياسية) – الطبعة الأولى سلسلة الألف كتاب ،العدد٦٠،الطبعة الثانية سلسلة مكتبة الأسرة ١٩٩٦م، الطبعة الثالثة سلسلة مكتبة الأسرة، عام ١٩٩٧م.

٣ـ"من فلاسفة السياسة في القرن العشرين"،مجموعة دراسات في الفلسفة السياسية المعاصرة)، إعـداد وتـأليف أنطونى دى كرسبنى وكينيث مينوج، دار الوفـاء للطباعـة والنشر، الإسكندرية ،عام ٢٠٠٠

رابعا: فى مجال الدراسات الفلسفية:

١- فلسفة برتراند راسل السياسية، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨١م.

٢- فلسفة العدل الاجتماعى سلسلة كتاب الهلال ١٩٨٧م.

مدخل إلى نظرية الحرب العادلة دار "ع" القـاهرة، ١٩٩٥م.

دراسات في فلسفة الأخلاق والسياسة والقـانون، دار الوفاء، الاسكندرية، ١٩٩٩م.

خامسا : في مجال التوثيق

١ ـ عبدالناصر في ذاكرة الشعر العربى (بالإشتراك مع الدكتورة هدى جمال عبد الناصر"، تحـت الطبـع، دار العرب للتوثيق والنشر